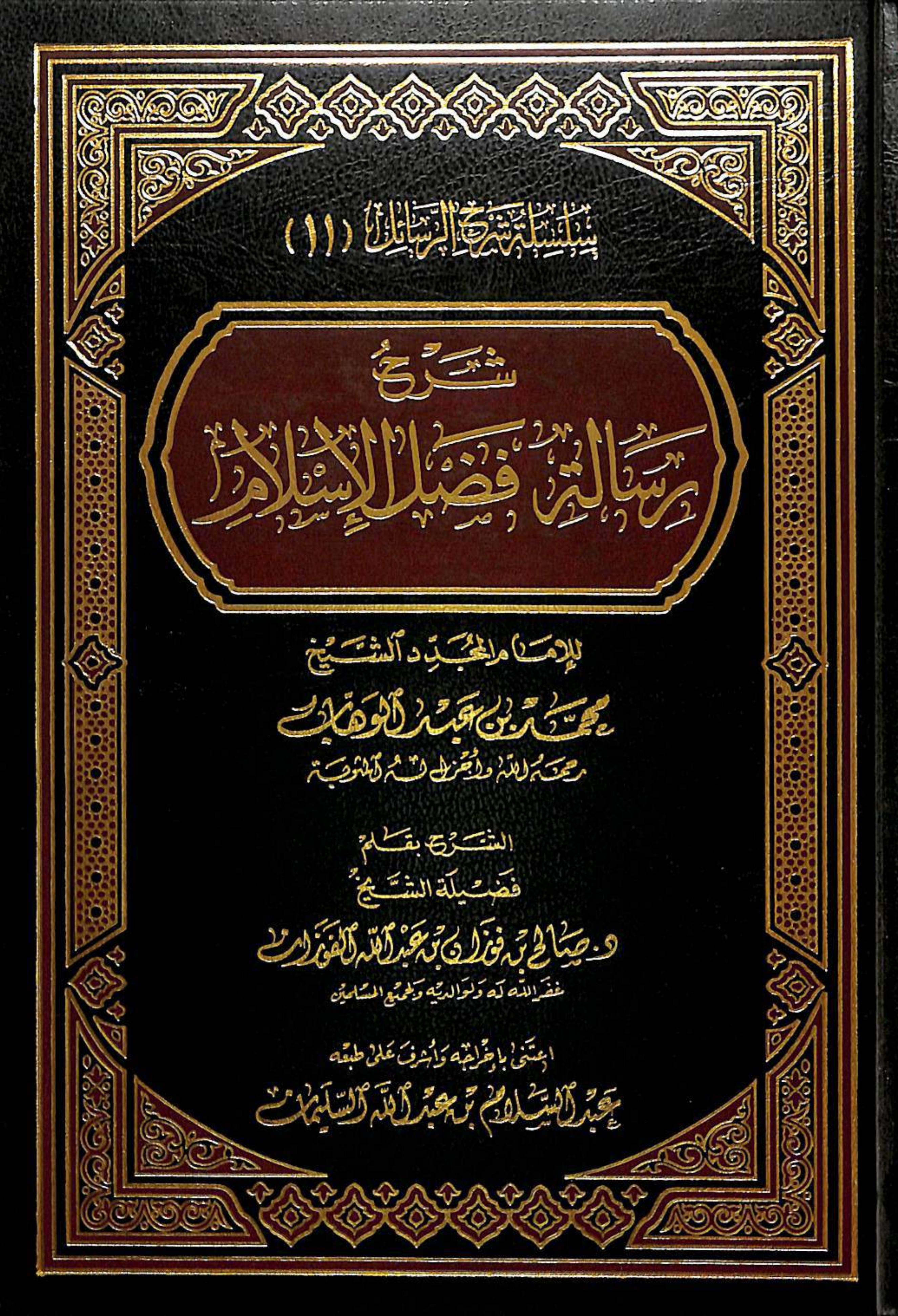


سلسلة شرح الرسائل (١١)
شرح
رسالة فضل الإسلام
للإمام المجدد الشيخ
محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله وأجزل له المثوبة
الشرح بقلم
فضيلة الشيخ
د. صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين
اعتنى بإخراجه وأشرف على طبعه
عبد السلام بن عبد الله السليمان

شرح رسالة فضل الإسلام

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

سلسلة شرح الرسائل ١١

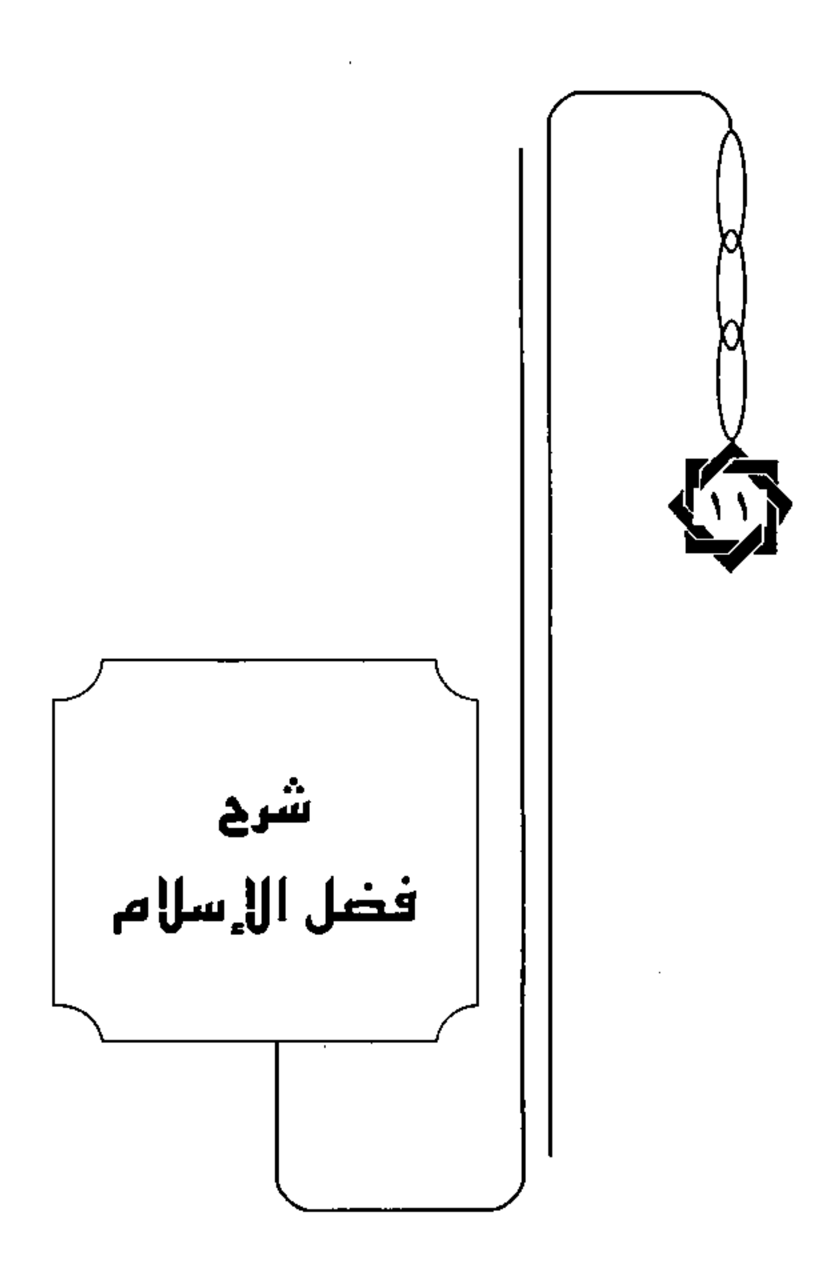
شرح رسالة فضل الإسلام

للإمام المجدد الشيخ
محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله وأجزل له المثوبة

الشرح بقلم
فضيلة الشيخ
د. صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

اعتنى بإخراجه وأشرف على طبعه
عبد السلام بن عبد الله السليمان

بسم الله الرحمن الرحيم


١١
شرح
فضل الإسلام



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبِهِ نَستعينُ

بابُ فَضْلِ الإسْلام [١]

---

[١] الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في «كتاب التوحيد»، وكتاب «أصول الإيمان»، وكتاب «فضل الإسلام»، وكتاب «الكبائر» درج على ما درج عليه المحدِّثون، في أنه في هذه الكتب، يأتي بالتراجم ويسوق بعدها الآيات والأحاديث، فهو يأتي بالترجمة التي تتضمن ما تفيده النصوص التي يسوقها بعدها، وهٰذه طريقة المحدِّثين كالإمام البخاري وغيره، فهو لا يأتي بكلام من عنده وإنما يأتي بما دل عليه الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح، لا كما يقوله أعداؤه إنه أتى بمذهب خامس يسمونه المذهب الوهابي تنفيراً عنه وعن دعوته وقد كان عالم من علماء الهند كلما فرغ من درسه رفع يديه وجعل يدعو على الشيخ محمد بن

. . . .

عبد الوهاب فسمعه بعض الناصحين فجاء على مؤلف الشيخ: «كتاب التوحيد» ونزع غلافه الذي فيه اسم الشيخ، وقدمه إليه يسأله: من هو مؤلف هذا الكتاب؟ فتأمله ذلك العالم وجاء من الغد وقال للرجل الذي قدمه إليه: هذا من مؤلفات الإمام البخاري، فردَّ الرجل غلافه عليه وقال له: هذا هو ابن عبد الوهاب الذي تدعو عليه، فندم العالم وجعل يدعو للشيخ محمد بعد كل درس.

وهو في هٰذا الكتاب بيَّن أولاً أصول الإيمان، ثم فضل الإسلام، وذٰلك لأن الدين يتكون من ثلاث مراتب: المرتبة الأولى: الإسلام. المرتبة الثانية: الإيمان. المرتبة الثالثة: الإحسان، كما جاء في حديث أبي هريرة قال: كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس، فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: «الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله، وتؤمن بالبعث»، قال: ما الإسلام؟ قال: «الإسلام: أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان»، قال: ما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» إلى آخر الحديث(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨) و(٩) و(١٠).

وقولُ الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]. [٢]

فهٰذه مراتب الدين، المرتبة الأولى: الإسلام، ثم فوقها: الإيمان، ثم فوقها: الإحسان، فهو ـ رحمه الله ـ أراد أن يبيّن الإسلام والإيمان في هٰذا الكتاب: «أصول الإيمان».

والباب الأول من أبواب هٰذا الكتاب هو: «باب فضل الإسلام»، ثم أتبعه بأبواب أخرى، مثل: باب وجوب الإسلام، وباب تفسير الإسلام، وما يُخرِجُ من الإسلام... إلخ.

[٢] لما كان النبي ﷺ واقفاً في عرفة في حجة الوداع، نزلت عليه هٰذه الآية ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ... ﴾ الآية، وهي من آخر ما نزل على الرسول ﷺ من القرآن الكريم، أو هي آخر ما نزل، لأنه عاش بعدها مدة يسيرة، بعد أن رجع إلى المدينة بعد الحج، فدل هٰذا على أن الرسول ﷺ ما توفي حتى أكمل الله به الدين، وفي هٰذا ردٌّ على المبتدعة الذين يُحْدِثون أشياء وينسبونها إلى الدين وهي ليست منه، فأيما إنسان يأتي بزيادة في الدين فهي مردودة، كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هٰذا ما ليس منه فهو ردٌّ»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

. . . .

وفيه ردٌّ على الذين ينتقصون الإسلام، ويقولون: إنه لا يصلح لكل زمان ومكان، مثل ما ينادي به الآن الذين يقولون: إن الإسلام لأجيالٍ مَضَتْ، ولفترة مضت، فلا يصلح لآخر الزمان، مع أن قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يدل على أنه صالح لكل زمان ومكان، وإذا قَصُرَتْ أفهام بعض الناس عن فهم الإسلام، فالعيب ليس في الإسلام، إنما العيب في فهمهم له: وإلا فالدين كامل وشامل لمصالح العباد إلى أن تقوم الساعة.

﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بهٰذا الدين، فهٰذا الدين هو أعظم نعمة أنعم الله بها على البشرية، لكن من قَبِلَ هٰذه النعمة استفاد منها، ومن لم يقبلها فإثمه وضرره عليه، لأنه هو الذي رفض هٰذه النعمة.

ثم قال جل وعلا: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ الإسلام: هو الدين الذي قال الله فيـه أوَّلَ هٰذه الآيـة: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فالله سبحانه أكملهُ ورضيهُ لنفسه، ورضيه لعباده، ولا يرضى ديناً سواه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩]، فسائر الأديان بعد مجيء دين محمد كالنصرانية واليهودية كلها باطلة لا يرضاها الله سبحانه

. . . .

وتعالى، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ففي هاتين الآيتين ردٌّ على الذين يقولون من أهل زماننا: إن الأديان الثلاثة اليهودية والنصرانية والإسلام كلها حق، وكلها توصل إلى الله، فهٰذا كذب وافتراء، فليس هناك دين حق بعد مجيء هذا الدين إلا الإسلام، فبعد بعثة الرسول ﷺ ومجيء الإسلام نُسِخَتْ اليهودية والنصرانية، فسائر الأديان إما محرَّف ومبدَّل، وإما منسوخ ومنته أجله، فلم يبق دين يرضاه الله إلا الإسلام، فمن أراد دخول الجنة فليتمسك بهٰذا الإسلام، ومن أراد ديناً غيره فليس له إلا النار، لأنه رَفَضَ دين الله الذي رضيه الله سبحانه وتعالى لعباده، فاليهودية غير المحرفة التي هي دين موسى عليه السلام كانت في وقتها ديناً صحيحاً مقبولاً، وكذلك النصرانية غير المحرفة، لكن بعد مجيء الإسلام نُسخت، ولم يبق إلا الإسلام، والواجب اتباع ما أمر الله به في كل زمان وفي كل مكان، وقد أمر الله باتباع الإسلام ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[آل عمران: ٣١-٣٢].

وقولُه تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ﴾ [يونس: ١٠٤]. [٣]

---

[٣] الآية الأولى ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ خطاب للمؤمنين، والآية الثانية ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ خطاب للمشركين، ﴿ قُلْ ﴾ أيها الرسول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ جميع البشرية ﴿ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ﴾ فهٰذا هو دين الرسول ﷺ: عبادة الله وترك عبادة ما سواه ﴿ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ﴾ عند نهاية آجالكم، وينقلكم من هٰذه الدار إلى دار الجزاء، فالله هو المستحق للعبادة لأنه إليه المرجع والمصير، أما هٰذه الأصنام فليس لها من الأمر شيء، لا تحيي ولا تميت ولا تجازي أحداً، لأنها مخلوقات لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً فكيف تملك لغيرها؟! هٰذا من العجائب واستخفاف العقول ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ ﴾ [فاطر: ١٤]، فهٰذا مخاطبة للعقول.

. . . .

﴿ فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ﴾ فالعبادة حق لله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ فالرسول ﷺ مأمور، وهو يمتثل أمر الله سبحانه وتعالى، ويبلغه للناس.

ثم قال جل وعلا: ﴿ وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٥-١٠٩]، آيات عظيمة، فيها مفاصلة بين الحق والباطل، ليس فيها لبس ولا غموض، الرسول ﷺ يعبد الله، وهٰؤلاء يعبدون غير الله، بل يعبدون مخلوقات ليس بيدها شيء، ولا تملك شيئاً، فهٰذه مفاصلة بين التوحيد والشرك، الرسول ﷺ ما جاء بشيء جديد، ولا دعا إلى عبادة نفسه، وإنما دعا إلى عبادة الله سبحانه وتعالى.

وقولُهُ تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد: ٢٨]. [٤]

إذن فالإسلام الذي جاء به الرسول ﷺ هو أن يُعبَد الله وتُترك عبادة ما سواه.

[٤] الآية الأولى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ... ﴾ خطابٌ للمؤمنين، والآيةُ الثانية: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ... ﴾ خطابٌ للمشركين والوَثَنيين، وهٰذه الآية ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟... ﴾ خطابٌ لأهلِ الكتاب من اليهود والنصارى ﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ ﴾ يعني محمداً ﷺ.

﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ أجر الإيمان بالرسلِ السابقين، وأجر الإيمان بمحمد ﷺ، فالمؤمن من أهل الكتاب يُؤتى أجرَهُ مرتين، أجر الإيمان بالكتاب السابق، وأجر الإيمان بالكتابِ المتأخرِ، وهٰذا فضل عظيم، قال تعالى: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ [القصص: ٥٤].

﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا ﴾ نورَ البصيرة ﴿ تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾ تُميِّزون بِهِ بين الحقِّ والباطلِ والهُدى والضَّلالِ، لأن هٰذا الدينَ نورٌ، فالقرآنُ نورٌ، والسُّنةُ نورٌ، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ

. . . .

وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، فالذي يمشي على هدي القرآن يمشي على النورِ، والذي يمشي على غير هدي القرآن يمشي في ظُلمةٍ وضلالٍ ـ والعياذُ بالله ـ وإن زُيِّن وزُخرِف له ما هو عليه، فهو باطلٌ وضلال. والإيمانُ بالرسولِ ﷺ سببٌ لهٰذا النور الحقيقي الذي يسيرُ عليه الإنسانُ.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ مزايا عظيمة يُرغِّبُ فيها أهلَ الكتاب في أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، الذي جاءَ بما جاءَ به إخوانُهُ النبيون، ودعا إلى ما دَعَوا إليه، وهو إخلاصُ العبادةِ للهِ عز وجل، وتَرْكُ عبادةِ ما سواه، فكان من العجيب أن يعصوه ويخالفوه، مع أنه ما جاءَ بشيءٍ يخالفُ ما عليه أنبياؤهم ورسُلُهم. فدلَّ على أن الإسلامَ هو الإيمانُ بهٰذا الرسولِ ﷺ بعد بعثته، وأن من لم يؤمن بهٰذا الرسولِ فليس على الإسلام، وإنما هو على الكُفر.

ودلَّتْ هٰذه الآية على فضل مؤمني أهلِ الكتاب الذين مَنَّ اللهُ عليهم فقبلوا الحقَّ، وأنَّ الله سيُعطيهم الأجرَ مرَّتين ويُعطيهم مزايا عظيمةً.

وفي الصَّحيحِ عنِ ابنِ عُمرَ رضي الله عنه، أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «مَثَلُكُم ومَثَلُ أَهلِ الكِتابَيْنِ كمَثَلِ رَجُلٍ استأجَرَ أُجَرَاءَ، فقالَ: مَن يَعْملُ لي مِنْ غُدْوَة إلى نِصفِ النَّهارِ على قِيراطٍ؟ فعَمِلتِ اليَهودُ. ثم قالَ: مَنْ يعملُ لي مِن نِصْفِ النَّهارِ إلى صَلاةِ العصرِ على قِيراطٍ؟ فعَمِلتِ النَّصارَى. ثم قالَ: مَنْ يَعملُ لي مِن صَلاةِ العَصْرِ إلى أن تَغِيبَ الشَّمسُ على قِيراطينِ؟ فأنتُمْ هُمْ. فغَضِبَ اليَهودُ والنَّصارى، فقالوا: مَا لَنَا أكثرَ عَمَلاً، وأقلَّ أجراً؟ قالَ: هل نَقَصْتُكُمْ من حقِّكُمْ شَيئاً؟ قالُوا: لا. قال: فذٰلكَ فَضْلي أُوتيهِ مَنْ أشاءُ»(١). [٥]

---

[٥] هٰذا الحديثُ فيه فضلُ الإسلام، وأنَّ أهلَهُ أعظمُ أجراً عند الله عز وجل من أهل الأديان السابقة، وهٰذا مثلٌ ضربَهُ النبيُّ ﷺ يوضحُ ذلك.

«فذٰلكَ فَضْلي أُوتيهِ مَن أشاءُ» لا حَجْرَ على الله سبحانه وتعالى، فضلُ الله يؤتيه من يشاءُ، واللهُ ذو الفضلِ العظيم، لكنه لا يظلمُ أحداً، ولا يبخسُهُ من حقِّهِ شيئاً، لأن الله حكمٌ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٦٨).

وفيهِ أيضاً عَنْ أبي هُريرَةَ رضي اللهُ عنهُ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أضَلَّ اللهُ عَنِ الجُمُعةِ مَنْ كانَ قَبْلَنا، فكانَ لليَهودِ يَومُ السَّبتِ، وللنَّصارَى يَومُ الأحَدِ، فجاءَ اللهُ بِنَا فَهَدانا ليومِ الجُمُعةِ، وكذٰلكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَومَ القِيامَةِ، نَحنُ الآخِرونَ مِنْ أهْلِ الدُّنيا، والأوَّلُونَ يَومَ القِيامةِ»(١). [٦]

عادلٌ، يجازي على العملِ الصالح، ويزيدُ، وهٰذه الزيادةُ فضلٌ من الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[النساء: ٤٠]، فهٰذا فضلُ الله سبحانه وتعالى، فلا اعتراضَ على الله في تفضيله هٰذه الأمة على غيرِها من الأمم لأنه أعلمُ سبحانه وتعالى بمواقع فضلِه ومَن يستحق الفضلَ، وأعلمُ بخلقِهِ سبحانه وتعالى، فالجزاءُ على العملِ عدلٌ، والزيادةُ على الجزاءِ فضلٌ.

وهٰذا الحديث فيه فضلُ الإسلام على غيره من الأديان.

[٦] وهٰذا أيضاً فيه فضلُ الإسلام، وأنَّ أهلَهُ أفضلُ الأممِ يومَ القيامةِ، والنبيُّ ﷺ وضَّح ذلك بيوم الجمعةِ، فالله جلَّ وعلا

---

(١) أخرجه مسلم (٨٥٦).

. . . .

جعل للأمم يوماً من الأُسبوعِ يتفرَّغُونَ فيه للعِبادةِ، فاليهودُ اختاروا يومَ السبت، وقالوا إنه اليوم الذي استراح اللهُ فيه بزعمهم بعدما تعبَ من خَلْقِ السماوات والأرض، حيث خلقها في ستةِ أيامٍ، بدايتها يومُ الأحد، ونهايتها يومُ الجمعة، قالوا: ويوم السبت تفرَّغ الله فيه واستراح، فاعتبروه يوماً لعبادتهم، وقد كذبوا على الله، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨]، أي: من تعب، وفي هٰذا ردٌّ على زعمهم الباطل بأن الله استراحَ يومَ السبت.

أما النصارى فاختاروا يومَ الأحد، قالوا: لأنهُ اليومُ الذي ابتدأ اللهُ جلَّ وعلا فيه الخَلْق، فهو اليومُ الأولُ من الأيام الستةِ، فاختاروه لهٰذا السبب.

وأما هٰذه الأمةُ، فاللهُ جلَّ وعلا هو الذي اختار لها يومَ الجمعة، لأنه أفضلُ الأيام، فيه تكامل الخَلْق، وفيه خُلق آدم عليه السلام، وفيه أُخرج من الجنة، وفيه تقوم الساعة، فهو يوم عظيم، فاختارَهُ الله لهٰذه الأمةِ.

فاليهود والنصارى حَسَدوا المسلمين على هٰذا، ولم يحسدُوهم على شيءٍ مثلما حسدُوهم على يوم الجمعة الذي اختص الله به المسلمين وأضل عنه اليهود والنصارى.

وفيهِ تَعْلِيقاً عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ: «أَحَبُّ الدِّينِ إلى اللهِ: الحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»(١) انتهى. [٧]

فهٰذا فيه فضلُ هٰذه الأُمةِ، وفيه فضلُ يوم الجمعة، وأنَّ الله تعالى اختارَ لهم يومَ الجمعة لعلمِه سبحانه وتعالى أنَّ هٰذا اليومَ هو أفضلُ الأيام.

[٧] قوله: (وفيه) أي: في «صحيح البخاري»، (تعليقاً) المعلَّقُ: هو الذي يذكره البخاري بدون سند، وهو على قسمين: معلَّقٌ مجزومٌ به، أي: على سبيل الجزم، ومعلَّقٌ غيرُ مجزومٍ به. وقد حَصَرَ الإمامُ ابنُ حجر رحمه الله المعلقات التي في «البخاري»، وذكر أسانيدها في كتاب سماه: «تغليق التعليق» أي: ذكر الأسانيد التي علّقها البخاريُّ ولم يذكرها.

(عن النبي ﷺ أنه قال) هٰذا من التعليق المجزوم به.

(الحنيفية السَّمحة) الحنيفيةُ يعني: ملَّةَ إبراهيم، والسمحة يعني: السهلة ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]، ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ

---

(١) علقه البخاري في «صحيحه» كتاب الإيمان، باب الدين يُسْرٌ، قبل الحديث رقم (٣٩).

وعَنْ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قال: عَلَيكُمْ بالسَّبيلِ والسُّنَّةِ، فإنَّهُ ليسَ مِنْ عَبْدٍ على سَبيلٍ وسُنَّةٍ ذَكَرَ اللهَ ففاضَتْ عَيناهُ مِنْ خَشْيةِ اللهِ فتَمَسَّهُ النَّارُ. وليسَ مِنْ عَبدٍ على سَبيلٍ وسُنَّةٍ ذَكَرَ الرَّحمٰنَ فاقْشَعَرَّ جِلْدُهُ

لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النساء: ١٢٥]. فالحنيف: هو المقبلُ على الله المعرضُ عمَّا سواهُ، فإبراهيمُ عليه السلام كان مقبلاً على الله، معرضاً عمّا سِواهُ من الخَلْق، والحَنيفيَّةُ: ملَّةُ إبراهيمَ عليه السلامُ، وهي ملَّةُ محمدٍ ﷺ ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧]، اليهود ادَّعَوا أن إبراهيم يهوديٌّ، مع أن التوراة ما أُنزلتْ إلا من بعدِهِ، فقد أُنزلتْ على موسى عليه السلام، وبينَهُ وبينَ إبراهيمَ مدةٌ طويلة. وكذٰلك النصارى قالوا: إن إبراهيمَ كان نصرانياً، وما جاءت اليهودية والنصرانية إلا من بعده، فالله سبحانه وتعالى ردَّ عليهم ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

فالحَنِيفيَّةُ مِلَّةُ إبراهيم عليه الصلاةُ والسلام، وهي أحبُّ الأديان إلى الله، فدلَّ على أنَّ الإسلامَ هو أحبُّ الأديان إلى الله سبحانه وتعالى.

من مَخَافَةِ اللهِ إلا كان كَمَثلِ شَجَرةٍ يَبِسَ وَرَقُها إلا تَحاتَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كما تَحَاتَّ عنْ هٰذِهِ الشَّجرةِ وَرَقُها، وإنَّ اقتصاداً في سُنَّةٍ خَيرٌ من اجتهادٍ في خِلافِ سبيلِ الله وسُنَّتِهِ، فانظرُوا أعمالَكُم فإنْ كانتِ اجتهاداً أو اقتِصَاداً أنْ تكونَ على منهاجِ الأنبياءِ وسُنَّتهم(١). [٨]

[٨] هٰذا الأثر عن أُبي بن كعب في فضل الإسلام.

يقول: إنَّ الإنسانَ إذا كان على سبيلٍ صحيح وعلى سُنَّةٍ ثابتة عن النبي ﷺ، فهٰذا إذا بكى من خشية اللهِ فإنها لا تمسُّهُ النار، لأنه خشي اللهَ سبحانَه وتعالى وهو على سبيلٍ وسُنَّةٍ، أي: على طريقٍ صحيح.

أما لو خشي اللهَ وهو على غير سُنَّةٍ، أي: على بدعةٍ، فهٰذا لا ينفعُهُ بكاؤُه ولا خشوعُه ولا خشيتُه، وكثيرٌ من النصارى يبكونَ ويخشعونَ لكنهم على غيرِ هُدى، بل على ضلالٍ، وكثيرٌ من القُبوريِّين والمُبتدعةِ يبكونَ بكاءً شديداً، ولكن لا يُؤْجَرون على هٰذا البُكاءِ، ولا يَنفعُهم عند الله، لأنهم ليسوا على سُنَّة، فليستِ العبرةُ أن يبكي الإنسانُ ويخشَعَ، وإنما العِبرةُ بما هو عليه.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٥٢٦)، وأبو نعيم في «الحلية» ١/ ٢٥٣.

وعَنْ أبي الدَّردَاءِ رضي اللهُ عنه قال: يا حَبَّذا نَوْمُ الأكْياسِ وإفْطارُهم، كيف يَعيبُونَ سَهَرَ الحَمْقَى وصَوْمَهم؟ مِثْقَال ذَرَّةٍ مِنْ بِرٍّ مع تَقْوَى ويَقِينٍ، أعْظَمُ وأفضَلُ وأرجحُ من عِبَادةِ المُغْتَرِّين[1]. [٩]

ثم قال أبي بن كعب في آخر الكلمة: «إن اقتصاداً في سُنَّةٍ خيرٌ من اجتهادٍ في خلاف سبيلِ الله وسُنَّتهِ» هٰذا كلام عظيم، فالعملُ اليسيرُ وهو على سُنَّةٍ فيه خيرٌ كثير، أما الاجتهادُ الكثير وهو على بدعة، فهٰذا لا ينفع صاحبَهُ ولو اجتهد الليلَ والنهارَ، لأنه على غير طريق السُّنة، فليستِ العِبرَةُ بكثرةِ العملِ، ولا بكثرةِ البُكاءِ وإنما العِبرةُ في الطريق الذي عليه الإنسان، العبرةُ باتباع الكتابِ والسُّنَّةِ ولو كان العملُ قليلاً، فهٰذا يكون على خيرٍ كثير وعلى سبيلِ نجاةٍ، وبكاؤُهُ وخشوعُهُ وخشيتُه تكون نجاةً له من النار.

[٩] أثرُ أبي الدَّرداءِ يُشبه أثر أُبي بن كعب في معناه تماماً، أن صاحبَ العقيدةِ الصَّحيحةِ وإن كان نائماً، فهو خيرٌ من صاحب العقيدةِ الفاسِدَةِ وإن كانَ قائماً يصلِّي النافلة، وصاحبَ السُّنَّةِ في نومِهِ وفي إفطارِهِ هو على خير، وصاحبَ البدعةِ في سَهَرِهِ وفي صومِهِ هو على شرٍّ، لأنه يسيرُ على غير هدى.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ١/ ٢١١.

باب الدخول في الإسلام

وقول اللهِ تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]. [١٠]

---

[١٠] قال رضي الله عنه: (باب الدخول في الإسلام)، لما ذَكَرَ فضلَ الإسلام ذَكَرَ الترغيبَ في الدُّخولِ فيه، فالإسلامُ الذي هٰذه مزاياهُ وهٰذه فضائلُهُ لا يليقُ بعاقلٍ أن يرفضَهُ وأن لا يدخلَ فيه إذا كان يريدُ النجاةَ لنفسه.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ فالذين يقولون: إنهم على دينٍ، وإنهم يعرفونَ اللهَ، ويعبدون اللهَ، من اليهود والنصارى، ويأْبَونَ الدخولَ في الإسلام، ليسوا على دين، لأنهم على دينٍ منسوخٍ انتهى العملُ به، فلا يفيدُهم شيئاً، لا يفيدُهم إلا الدخولُ في الإسلام، فقد قال ﷺ: «والذي نَفْسُ محمدٍ بيده لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمةِ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثم يموتُ ولم يؤمِنْ بالذي أُرسلتُ به إلا كانَ مِن

. . . .

أصحابِ النار»(١)، وقال عليه الصلاة والسلام: «كلُّ أُمتي يدخلون الجنَّةَ إلا مَن أبَى» قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنةَ، ومن عصاني فقد أَبَى»(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ أما غيرُه فليس دِيناً عند الله، لأنه بعد مجيء الإسلام لم يبقَ دينٌ يقبلُهُ الله سبحانه وتعالى من عبادِهِ، لأن الإنسان عبدٌ، والعبدُ يطيعُ ربه عز وجل فيما أَمَرَهُ به، واللهُ أمرَكَ أن تدخل في الإسلام، فيجبُ عليك الدخولُ في الإسلام طاعةً لله عز وجل، لأن الواجبَ اتباعُ الأمر لا اتباع الهوى، فهٰذا عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه عندما قبَّل الحجرَ الأسود قال: واللهِ إني لأعلمُ أنك حجرٌ لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أني رأيتُ رسولَ الله يقبلُكَ ما قبلتُكَ(٣).

فتقبيل الحجر ليس عبادةً للحجر، وإنما هو عبادةٌ لله تعالى، والطوافُ بالكعبة ليس عبادةً للكعبة، وإنما هو امتثالٌ لأمرِ الله عز وجل وعبادة له، فالشأنُ يدورُ مع أمرِ الله وشرعِهِ،

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠) من حديث عبد الله بن عمر.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].
قال مُجاهِد: السُّبُل: البِدَع والشُّبهات. [١١]

ولا اعتراضَ على ذلك، فقد اعترَضَ إبليسُ على أمر الله، فكان مصيرُه الطردُ والإبعادُ واللعنةُ والغضبُ، والعياذُ بالله.

[١١] ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا﴾ الصراطُ: هو الطريق، والمرادُ به هنا: الإسلام، فهو صراطُ الله عز وجل، وهو مستقيمٌ ليس فيه اعوجاجٌ ولا انحراف، وإنما هو معتدلٌ، لا إفراطَ ولا تفريط.

﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ لا تتبعوا دِيناً غيرَ هٰذا الدِّين، ولا تتبعوا سُنَّةً غيرَ سنةِ الرسولِ ﷺ، فإن هٰذا صراطي، وهو سبيلي.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ تأمَّلْ، سبيلُ الله واحدة، وصراطٌ واحد، وأما غيرُ سبيل الله فهي سُبُلٌ كثيرةٌ، حبُّ الأهواء، وحبُّ الشهواتِ، كلٌّ له طريق، كلٌّ له سبيل، كلٌّ له مذهب، والنهايةُ الخسارة ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾، أما مَنْ سارَ على هٰذا الطريق الواحد، فإنه ينجو عند الله سبحانه وتعالى، فهٰذا فيه الأمر بسلوكِ سبيل الإسلام، وتَرْكِ ما سواهُ من النِّحَلِ والبِدَع والمذاهبِ والفِرَقِ، فكلُّها تؤدي إلى الهلاكِ.

وعَنْ عائشةَ رضي الله عنها، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «مَنْ أحدَثَ في أمْرِنَا هٰذا ما لَيسَ مِنْهُ فَهُو رَدٌّ». أخرجاه، وفي لفظٍ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً ليسَ عَلَيهِ أمْرُنا فَهُوَ رَدٌّ»[1]. [١٢]

(قالَ مجاهد: السُّبُل: البِدَع والشُّبهات) البدع والشبهات هي من السُّبُل التي تتفرقُ بأصحابها ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:٥٣]، وهٰذا من تمام العقوبة، أنَّ الإنسان يفرحُ بالباطلِ، فإذا فرحَ بالباطل فلن يتركه، أما الذي يسيرُ على باطلٍ ولم يفرح به، فهٰـذا ربَّما يبحثُ عن الحق ويهتدي إليـه، لكن إذا سارَ مقتنعاً وفرح بالباطل فهٰذا لا يهتدي أبداً.

[١٢] (مَنْ أحدَثَ في أمرنا هٰذا ما ليسَ منه فهو رَدٌّ) يعني: مردوداً عليه، لا يُقبَلُ عندَ الله، وقوله: (من أحدَثَ في أمرنا) أي: أضافَ إلى الدين إضافةً جديدةً لم يأتِ بها الرسولُ ﷺ، وقال: إن هٰذا خير، نقول له: بل هٰذا باطلٌ، لأن الدين كامل، كما قال جلَّ وعلا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فلا تُقبلُ

---

(١) البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) واللفظ الأخير هو لفظ البخاري.

وللبُخاريِّ(١) عَن أبي هُرَيرةَ رضي الله عنه قال: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ أُمتي يَدخُلونَ الجَنَّة إلاَّ مَنْ أَبَى»، قيلَ: مَنْ يأْبَى؟ قال: «من أطاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، ومَنْ عَصَاني فَقَدْ أَبَى». [١٣]

في الإسلام الإضافاتُ والزياداتُ والاستحسانات، لأن الدين توقيفي، إذَنْ البدعُ كلُّها ليست من الإسلام، وإن كان أصحابُها يتقربون بها إلى الله، ويظنُّون أنَّ فيها أجراً، لكنها ليس فيها أجرٌ ولا تُقرِّبُ من الله، بل تُبعدُ عن الله عزَّ وجلَّ.

[١٣] وهٰذا فيه الحثُّ على الدخولِ في الإسلام، فالذي يريدُ الجنةَ يدخل في الإسلام، والذي لا يريدُ الجنةَ لا يدخل في الإسلام، بأن يتبع المذاهبَ الأخرى والأديان الأخرى، ومآلُهُ إلى النار، فليس للجنةِ طريقٌ إلا الإسلام الذي جاء به هٰذا الرسول ﷺ.

ومعلوم أن الذي يتمسكُ بالإسلام يلقى أذىً ومشقةً من الناس، لكن عليه أن يصبر، وخصوصاً في آخر الزمان إذا كثرت الفتن، فالمتمسكُ بالدين يكون كالقابضِ على الجمر، لشدة ما يلقَى في سبيل ذٰلك من المشقة والأذى. أما البِدع

---

(١) برقم (٧٢٨٠).

وفي الصَّحيحِ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنه، أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «أبْغَضُ النَّاسِ إلى اللهِ ثَلاثَةٌ: مُلْحِدٌ في الحَرَمِ، ومُبْتَغٍ في الإسْلامِ سُنَّةَ الجَاهليَّةِ، ومُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بغَيْرِ حَقٍّ ليُهْرِيقَ دَمَهُ». رواه البخاري[1].

قالَ ابنُ تَيمِيةَ: قولُهُ: «سُنَّةَ الجاهليَّة» يَنْدرِجُ فيها كُلُّ جاهليَّةٍ مُطْلَقَةٍ أو مُقَيَّدَةٍ، أي: في شَخْصٍ دُونَ شَخْصٍ، كِتابيَّةٍ، أو وَثَنِيَّةٍ، أو غَيرِهما من كُلِّ مُخَالفٍ لما جَاءَ به المُرْسَلُونَ. [١٤]

فليس فيها تعب، لأنها توافق الأهواء والشهوات ولأن الناس لا يعترضون عليه، وصاحبها ولو تعِبَ فإنه يتلذَّذُ، لأن الشيطانَ يزيِّنُ له هٰذا الشيء، لكن مآلها إلى النار.

[١٤] قوله: (أبغض الناس) فيه إثبات البُغْض لله سبحانه وتعالى، فهو جلَّ وعلا يُبغضُ أهلَ الشَّرِّ وأهلَ الكفر، ويحبُّ أهلَ الخير وأهلَ الإيمان.

(ملحدٌ في الحرم) الإلحادُ: هو المَيلُ، والمرادُ به الميلُ عن طاعة الله إلى معصيته. والإلحاد محرَّمٌ في كلِّ وقت،

---

(١) برقم (٦٨٨٢).

. . . .

وفي كلِّ مكان، ولكنَّ الإلحادَ في الحَرَم أشدُّ، فهو حَرَمُ الله عز وجل، الذي أَمَر اللهُ عز وجل أنْ يُحتَرَم، وأن يؤمَّنَ الناسُ فيه، ولا يُعتدَى على أحد، حتى الطيور والصَّيد لا تُنفَّر، وحتى الخلا الذي هو العُشبُ لا يُقطَعُ، وكذلك الشجر لا يُقطَعُ في الحرم، فكيف بدماءِ الآدَميينَ والاعتداء عليهم؟! وأشدُّ من ذلك الشِّركُ في الحرم، ودعاءُ غيرِ الله عز وجل، والبدعُ والمحدَثات في الحرم، قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الحج: ٢٥]، فمجرَّدُ الإرادة لو نوى في قلبه أنه يريدُ أن ينفِّذَ شيئاً في الحرم فإنَّ الله يذيقُهُ العذابَ الأليم، حتى ولو ما نَفَّذَ، فكيف إذا نفَّذَ؟! فالأمرُ أشدُّ والعياذُ بالله، لأن الحرمَ أمرُهُ عظيم.

والمرادُ بالحرم: ما كان داخلَ الأميال المحيطة بمكةَ من جميعِ الجوانب. وهو الذي لا يُنَفَّرُ صيدُه، ولا يُختَلى خلاؤه، ولا تُلتَقَطُ لُقَطَتُهُ إلا لمُنْشِدٍ، ولا يُعتَدَى فيه على أحدٍ، لا في عِرْضِهِ، ولا في دَمِهِ، ولا في مالِهِ، لأن من دَخَلَهُ كان آمناً ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [القصص: ٥٧].

. . . .

كان الناس في الجاهلية ـ وهم أَهلُ شرٍّ وأهلُ قتالٍ وغاراتٍ ونهبٍ وسَلْبٍ ـ كانوا إذا دخلوا الحرمَ أَمِنُوا، حتى إنَّ أحدهم كان يلقى قاتلَ أبيه فلا يُهيِّجُهُ حتى يخرج من الحرم. هٰذا وهم أهلُ جاهلية، فكيف بأهل الإسلام؟! فمن اعتدى في الحرم فإنَّ الله جلَّ وعلا توعَّدَهُ بالعذابِ الأليم.

(ومُبتغٍ في الإسلام سُنَّة الجاهلية) وهٰذا هو محلُّ الشاهد، فالذي يأتي بعادات الجاهلية ويجعلها من الإسلام، هٰذا يبغضه الله أشدَّ البغض.

والمراد بالجاهلية: ما قبل الإسلام وهو زمن الفترة من الرسل. سمي بالجاهلية لأنه ليس فيه كتاب ولا رسول.

(ومُطَّلِبُ دمِ امرئٍ مسلمٍ بغير حق ليهريق دمه) هٰذه هي الجريمةُ الثالثةُ التي يُبغضُ اللهُ أصحابَها، وهي جريمة الاعتداء على الأبرياء، الذين يعتدون على الأبرياء ليقتلوهم، سواء كان هؤلاء الأبرياء مسلمين أو معاهدين من الذين عَصَم اللهُ دماءَهم، فمن أراد أن يقتلَ معصومَ الدم الذي أَمَّنَهُ الإسلام وأعطاه الأمان واعتدى عليه، فإن الله يُبغضُهُ أشدَّ البُغض، وعقوبته عند الله أشد، لأنَّ الله حرَّم قتل الأنفس بغير حق، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا

. . . .

فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، وقال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ قَتَلَ مُعاهداً لم يَرَحْ رائحةَ الجنَّةِ»(١)، فالدمُ المعصوم لا يجوزُ الاعتداءُ عليه، وهٰذا من أكبر الجرائم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[الفرقان: ٦٨-٧٠].

قوله: (قال ابن تيمية. . .) يعني شيخ الإسلام رحمه الله فسَّر سُنَّةَ الجاهلية، فبيَّن أنَّ هٰذا عامٌّ في الجاهليةِ العامةِ والجاهليةِ الفردية، لأنَّ الجاهليةَ قد تكون في مجتمعٍ وقبيلةٍ، وقد تكونُ في فردٍ من الأفراد، فلما عيَّرَ رجلٌ من الصحابةِ رجلاً آخر منهم بسوادِهِ، وأنه ابنُ سوداء أو ابن مملوكةٍ، فقال له: يا ابنَ السوداء، فقالَ له رسولُ الله ﷺ: «عيَّرتَهُ بأُمِّهِ؟! إنَّكَ امرؤٌ فيك جاهليةٌ»(٢). مع أنَّ هٰذا الرجل الذي قال ذلك هو أبو ذر من أفاضل الصحابة، لكن لما قال

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.
(٢) أخرجه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١) من حديث أبي ذر.

وفي الصَّحيحِ عن حُذَيفَةَ رضي الله عنه قال: يا مَعْشَرَ القُرَّاءِ، استَقِيمُوا، فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقاً بَعيداً، فإنْ أخَذْتُمْ يَميناً وشِمالاً، لَقَدْ ضَلَلْتُم ضَلاَلاً بعيداً(١).

[١٥]

هٰذه الكلمة عدَّها النبيُّ ﷺ من أُمور الجاهلية، لأنَّ المسلمين إخوة «لا فضلَ لعربيٍّ على أعجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا لأحمرَ على أسودَ، ولا أسودَ على أحمرَ إلا بالتقوى»(٢).

(قوله: سنة الجاهلية، يندرجُ فيها كلُّ جاهليَّةٍ مطلَقَةٍ أو مُقيَّدة) مطلقة، يعني عامة في قبيلةٍ أو في بلد، أو مقيدة بشخص.

(كتابية، أو وثنية، أو غيرهما) هٰذا تفسيرٌ للجاهلية، أنها كلُّ ما عليه الكفارُ قبل البعثة، سواءٌ كانوا من اليهود، أو من النصارى، أو من المجوس، أو من الوثنيِّين.

[١٥] هٰذا الأثرُ عن حذيفةَ بن اليمان رضي الله عنه، أنه كان يدخل المسجد، ويقفُ على حِلَقِ التدريس، أي على الذين

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٢).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٣٤٨٩) من حديث أبي نضرة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

وعَنْ مُحمَّدِ بنِ وَضَّاح: أنَّهُ كانَ يدخُلُ المسْجِدَ، فيَقِفُ على الحِلَق، فيقول.. فذَكَرهُ، وقال: أنْبأنا ابنُ عُيينَةَ، عَن مُجَالِدٍ، عن الشَّعْبيِّ، عن مَسْرُوقٍ، قال عَبْدُ الله ـ يعني ابنَ مَسْعودٍ ـ: لَيْسَ عَامٌ إلا والذي بعدَهُ أشَرُّ منه، لا أقول: عامٌ أمْطَرُ مِنْ عامٍ، ولا عامٌ أخْصَبُ من عامٍ، ولا أميرٌ خيرٌ من أميرٍ، لكنْ ذَهابُ

يتعلمون القرآن في المسجد، فيقول لهم: (إن استقمتُم فقد سَبَقْتُم سَبْقاً بعيداً) أي: إن استقمتم على القرآن الذي تدرسونه بالعملِ به، لأن المقصودَ هو التمسكُ بالقرآن والعملُ به، أما الذي يقرأُ القرآنَ ولكنَّهُ لا يتخلَّقُ به، فهٰذا قد انحرفَ عن القرآن، فالقرآنُ هو الصراطُ المستقيمُ الذي من تمسَّكَ به نجا، ومن حادَ عنهُ هَلَكَ وضَلَّ.

وهٰذا الأثرُ فيه التذكيرُ من حُذيفةَ رضي الله عنه للقراء أنهم لا يقتصرون في قراءة القرآن على جَودةِ التلاوةِ وحُسْنِ الصوت دون نَظَرٍ إلى تدبره والعمل به والتخلُّقِ بأخلاقِهِ، فمن فعل ذٰلك لا يُعتبر من أهل القرآن، أما الذي يتخلقُ بالقرآن ويتأدَّبُ بآدابه فهو من أهل القرآن ولو كان عامياً لا يقرأ القرآن.

عُلَمائِكُم وخِيارِكُم، ثُمَّ يَحدُثُ أقْوامٌ يَقِيسُونَ الأُمورَ بآرائِهِمْ، فيُهْدَمُ الإسْلامُ ويَنْثَلِمُ[1]. [١٦]

---

[١٦] (محمدُ بن وضَّاح) من العلماء الذين صنَّفوا في بيان البدع، فله كتاب مطبوع في البدع اسمه: «البدع والنهي عنها».

وهٰذا الأثر عن ابن مسعود رضي الله عنه من رواية محمد ابن وضَّاح، أنه أخبرَ أن الناسَ لا يزالونَ في نقصٍ، كلُّ عامٍ يكون أنقصَ من الذي قبله، وهٰذا كما جاء في حديث أنس لما جاؤوا يشكون إليه الحجَّاجَ، وما يلقون من الظلم، قال: «اصبروا، فإنه لا يأتي عامٌ إلا والذي بعدَهُ شرٌّ منه» سمعتُه من نبيكم ﷺ[2]. فكلما تأخَّر الوقت زاد الشَّرُّ، وهٰذا يقتضي أن يكون الإنسان على حذر من الفتن والشرور.

ثم أَخبر في آخر الأثر أنه إذا مات العلماءُ والأخيار، يأتي من بعدهم أناسٌ جهَّال يُحكِّمون عقولَهم ومقاييسَهم، لأنه ليس عندهم علمٌ، وهٰذا يضلِّلُ الأُمة ويسببُ هلاكَها، لأن

---

(١) أخرجه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٢١٠)، وعزاه الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١٣/ ٢٨٣ للبيهقي.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٦٨).

. . . .

هٰؤلاء الجهال لا يحسنون الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، إذ هما الأساس في التشريع، وكما جاءَ في الحديث: «إن الله لا يقبضُ العِلمَ انتزاعاً ينتزِعُهُ من العباد، ولكن يقبضُ العلمَ بقَبْضِ العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالماً اتخذ الناسُ رؤوساً جُهَّالاً فسُئلوا فأفتوا بغيرِ علمٍ فضلُّوا وأضلُّوا»[1]، فوجود العلماء علامةُ خير، وفقدانُهم علامةُ شَرٍّ، ووجودُ أُناسٍ في هٰذا الزمان يزهِّدون بالعلماء ويحقِّرونهم ويتكلمون في أعراضهم، هٰذا من علامات الساعة، ومن علامات النقص من الإسلام.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

باب تفسير الإسلام

وقول الله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ . . . ﴾ الآية [آل عمران: ٢٠]. [١٧]

---

[١٧] (باب تفسير الإسلام) بعدما أوردَ الأبوابَ السابقة في الحثِّ على الإسلام، والدخولِ فيه، والتمسُّكِ به، أراد أن يبيِّن ما هو الإسلام، لأن كونك تمدح الشيءَ ولا تبينُه لا يحصل المقصودُ، فلا بدَّ أن يبيِّن ما هو الإسلام، لكي لا يدَّعي أحدٌ أنَّ ما هو عليه هو الإسلام، وهو مخالف للإسلام، فكل الفِرَق تدعي كلٌّ واحدةٍ منها أنها على الإسلام، وأن غيرها ليس هو على الإسلام، ولو تركنا الأمر لهٰؤلاء لهلكت الأمة، لكن من فَضْلِ الله سبحانه أن جعل الإسلام واضحاً بيِّناً، فليس الإسلامُ بالدعوى والانتماءِ والانتساب، ولكن المسلم من تمسَّك بالإسلامِ الحقيقي، فلا بدَّ أن تعرفَ الإسلام مما جاء في كتاب الله عز وجل وسنةِ نبيه ﷺ، لا من غيرهما.

(وقول الله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ . . . ﴾ الآية) أي النصارى وهٰذا فيه بيانٌ لمعنى الإسلام، أنه إسلامُ الوَجْهِ لله، واخلاصُ النِّيةِ له سبحانه، والبراءةُ من الشرك.

وفي الصَّحيحِ عن عُمَر بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «الإسْلامُ أنْ تَشْهَدَ أنْ لا إلـهَ إلاّ اللهُ وأنَّ محمّداً رَسُولُ اللهِ، وتُقيمَ الصَّلاةَ، وتُؤْتيَ الزَّكاةَ، وتَصُومَ رَمَضانَ، وتحجَّ البيتَ إنِ استَطَعْتَ إليهِ سبيلاً»(١). [١٨]

أما مَن كان عنده شيءٌ من الشرك، كدعوةِ الأمواتِ والقبورِ، ويقول: أنا مسلم! فهٰذا ليس بمسلم لأنه ما أسلم وجهه لله، بل أسلم وجهَهُ لغير الله، يدعو غيرَ الله، يذبحُ لغير الله، ينذرُ لغير الله ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: ١١٢] فقوله: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾: هذا التوحيد، وقوله: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: أي متبع للرسول ﷺ، لأن متابعة الرسول ﷺ بها يتحقق الإسلام، فالإسلام: هو الإخلاصُ للهِ، والمتابعةُ للرسول ﷺ.

[١٨] ذكر الشيخ رحمه الله هٰذا الحديثَ عن رسول الله ﷺ لأنه يفسر فيه الإسلام بأنه الإتيان بهذه الأركان الخمسة.

(الإسلامُ أن تشهدَ أن لا إلـه إلا الله، وأنَّ محمداً رسولُ الله)، وليس معنى ذٰلك التلفظ فقط، لا، بل باللفظِ، وبالنيّةِ، وبالعمل، فلا بد من التلفظ بالشهادة، ومن العلمِ بمعناها،

---

(١) أخرجه مسلم (٨) ضمن حديث جبريل في الإسلام والإيمان والإحسان.

. . . .

والعملِ بمقتضاها حتى تكون شهادة صحيحة. فشهادة أنْ لا إلـهَ إلا الله، تعني: الإخلاصَ لله، وتركَ الشرك، وشهادةُ أنَّ محمداً رسولُ الله، تعني: المتابعةَ للرسولِ ﷺ، وتركَ البدع والمحدثات، فالرسولُ ﷺ هو القدوةُ، فلا يُتبَعُ غيرُه ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]، أما المنافقون فهم يشهدونَ أن محمداً رسولُ الله بألسنتِهم، لكن يكفرون به في قلوبهم وأفعالهم ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً ﴾ [المنافقون: ١-٢]، أيمانهم يعني الشهادة، فسماها يميناً، ﴿ جُنَّةً ﴾ أي: سُترة يتستَّرون بها، وهم لا يؤمنون بأنَّه رسولُ الله في قلوبهم، وإن كانوا يتلفَّظون بذٰلك في ألسنتهم، فدلَّ على أنَّ المطلوب ليس هو اللفظ فقط، بل اللفظ والاعتقاد والعمل.

(وتقيم الصلاةَ) الصلاةُ هي الركنُ الثاني من أركان الإسلام فالذي يشهدُ أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسولُ الله، لكن لا يُقيمُ الصلاةَ، بل هو تاركٌ لها متعمداً، فهٰذا ليس بمسلم.

(وتؤتي الزكاة) كذٰلك لا بدَّ مع الصلاةِ من أداءِ الزَّكاة، لأن الزكاةَ قرينةُ الصلاة، فمن فرَّق بين الصلاةِ والزكاة، أي: أنه يصلي، لكنه لا يؤدي الزكاة، هٰذا أيضاً ليس بمسلم، فقد

وفيه عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه مرفوعاً: «المُسلِمُ من سَلِمَ المُسلمونَ مِن لسانِهِ ويَدِهِ»[1]. [١٩]

قاتَلَ أبو بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه مانعي الزكاة، وقال: واللهِ لأُقاتلنَّ مَن فرَّق بين الصلاةِ والزَّكاة[2].

(وتصوم رمضان) هٰذا هو الركن الرابع، وهو صيام شهر رمضان، فالذي يترك الصيام ويقول: إنه ليس بلازم، فهٰذا ليس بمسلم.

(وتحج البيتَ إن استطعتَ إليه سبيلاً) فمن كان عنده استطاعة للحج ولم يحجَّ، ويقول: إنه ليس بلازم، فهٰذا يكفر، ولهٰذا قال: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، أما إذا اعترفَ بوجوب الحج، ولكنه لم يحج تكاسلاً، فهٰذا يُلزمُهُ وليُّ الأمر بالحج.

[١٩] أي ليس الإسلامُ مقصوراً على هٰذه الأركان، بل هٰذه الأركان هي الأساسات، فالإسلامُ هو كلُّ الطاعات التي أمَرَ

---

(١) حديث أبي هريرة ليس في الصحيح، وإنما أخرجه أحمد (٨٩٣١)، والترمذي (٢٦٢٧)، والنسائي ٨/١٠٤-١٠٥ بإسناد قوي. أما حديث الصحيح فهو عن عبد الله بن عمرو بن العاص عند البخاري (١٠)، ومسلم (٤١)، وعن جابر بن عبد الله عند مسلم (٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠) من حديث أبي هريرة.

وعن بَهْزِ بنِ حَكِيمٍ، عن أبيه، عن جَدِّهِ: أنَّه سَأَلَ رسولَ اللهِ ﷺ عنِ الإسْلامِ، فقال: «أنْ يُسْلِمَ قَلْبُكَ لله، وأنْ تُولِيَ وجْهَكَ إلى الله، وأنْ تُصلِّيَ الصَّلاةَ المكتوبَةَ وتؤدِّيَ الزكاةَ المفرُوضَةَ» رواه أحمد[1]. [٢٠]

الله بها، أو أمَرَ بها رسولُهُ ﷺ، وهٰذه الأوامرُ منها ما هو واجبٌ ومنها ما هو مستحبٌّ، فكلها من الإسلام، منها ما يزول الإسلامُ بتركه، ومنها ما لا يزول الإسلام بتركه وإنما ينقص، يعني: منها ما يُكمِّلُ الإسلامَ الكمالَ الواجب، ومنها ما يكمِّلُ الإسلام الكمالَ المستحبَّ، فالواجبات من الطاعات تكمِّلُ الإسلامَ الكمال الواجب، والمستحبَّات تكمِّل الإسلام الكمال المستحب، ولهٰذا قال: «المسلمُ من سَلِم المسلمونَ من لسانِهِ ويده»، فالذي يكفُّ أذاهُ عن الناس فهو مسلم كامل الإسلام، أما الذي يؤذي الناس بلسانه أو بيده، لا نقولُ: إنه كافر، ولكنه مسلمٌ ناقص الإسلام.

[٢٠] هٰذا معقولٌ من قوله ﷺ: «الإسلامُ أن تشهدَ أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمداً رسولُ الله وتقيم الصلاة» فذكر هنا أهمَّ أركان الإسلام، وهي الشهادتان وإقامُ الصلاة، وكما جاءَ في

(١) في «مسنده» برقم (٢٠٠٢٢).

وعَنْ أبي قِلابَةَ، عَنْ عَمْرِو بنِ عَبَسَةَ، عَنْ رَجُلٍ من أهلِ الشَّامِ عن أبيهِ، أنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: ما الإسْلامُ؟ قال: «أنْ تُسْلِمَ قلبَكَ للهِ عزَّ وجلَّ، ويَسْلَمَ المُسلمونَ من لِسانِكَ ويَدِكَ». قال: أيُّ الإسْلامِ أفْضَلُ؟ قال: «الإيمان». قال: وما الإيمانُ؟ قال: «أنْ تُؤْمِنَ باللهِ وملائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ والبَعْثِ بعدَ الموتِ»[١]. [٢١]

حديثِ معاذِ بن جبلٍ لما بعثه النبيُّ ﷺ إلى اليمن قالَ له: «فليكن أولَ ما تدعوهم إليه: شَهادةُ أن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمداً رسولُ الله، فإنْ هم أجابوكَ لذٰلك فأعلِمْهُم أنَّ الله افترضَ عليهم خمسَ صلواتٍ في اليومِ والليلةِ، فإن هم أجابوكَ لذٰلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقةً تُؤخَذُ من أغنيائهم وتُرَدُّ في فقرائهم»[٢]، فذكر أهم أركان الإسلام الخمسة، وهي هذه الثلاثة.

[٢١] قوله: (أن تُسلمَ قلبَك لله) هٰذا كما في الآية ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ٢٠]، وكما في قوله تعالى:

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٧٠٢٧)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠١٠٧)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٣٠١).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩) من حديث عبد الله بن عباس.

. . . .

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١١٢]، وهٰذا فيه إخلاصُ العبادة لله، وتركُ عبادةِ ما سِواهُ، وهٰذا هو أساس الإسلام.

(ويَسْلَمَ المسلمونَ من لسانِكَ ويدِكَ) كما مرَّ في الحديث: «المسلمُ من سَلِمَ المسلمونَ من لسانِهِ ويده».

(قال: أيُّ الإسلام أفضلُ؟ قال: الإيمان) لأنَّ الرسولَ ﷺ في حديث جبريلَ جعل الإيمانَ فوقَ الإسلام، وأخَصَّ.

(قال: وما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله. . .) الحديث، وهٰذه كما في حديث جبريل المتقدم تسمى أركانَ الإيمان، فكما أنَّ الإسلامَ له أركان، فكذلك الإيمان له أركان، والإيمانُ أوسعُ من الإيمان، والإيمان له مكمِّلاتٌ واجبةٌ ومستحبَّةٌ، ولهٰذا قال ﷺ: «الإيمانُ بِضْعٌ وسبعونَ أو بِضْعٌ وستونَ شعبةً، أعلاها: قولُ لا إلـٰه إلا الله، وأدناهما: إماطةُ الأذى عن الطَّريقِ، والحَياءُ شُعبةٌ من الإيمان»[1]، فالطاعاتُ كلها من الإيمان، القوليةُ منها والفعليةُ، وليس الإيمانُ هو التصديق بالقلب فقط ـ كما يقول المرجئة ـ، بل الإيمانُ: نطقٌ باللسان، وتصديقٌ بالقلبِ، وعملٌ بالجوارحِ.

(١) أخرجه البخاري (٩) مختصراً، ومسلم (٣٥) بتمامه من حديث أبي هريرة.

باب

قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]. [٢٢]

---

[٢٢] هٰذا البابُ فيه بيان أن الإسلامَ هو الدينُ الوحيدُ الذي لا يقبلُ الله من أحدٍ سواه.

والإسلام: هو ما جاءت به الرُّسُلُ عليهم الصلاةُ والسلام، في كلِّ وقت بحَسَبهِ، لكن لما بُعِثَ محمدٌ ﷺ صار الإسلام: هو ما جاءَ به محمدٌ ﷺ.

فالإسلام معناه: الانقيادُ للهِ بالطاعةِ، والبراءَةُ من الشِّركِ وعبادتِهِ حسبَ ما شُرِع في كلِّ وقت، أما بعد بعثةِ محمدٍ ﷺ فإنه صار الإسلامُ هو ما جاء به محمدٌ ﷺ، ولا يَسَعُ أحداً أن يخرج عن طاعته ﷺ، حتى الأنبياء السابقين، لو وُجد أحدٌ منهم بعد بعثة محمد ﷺ فإنه لا يسعُهُ أن يخرجَ عن طاعةِ محمدٍ ﷺ، ولهٰذا قال الله جل وعلا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠

. . . .

مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ٨١-٨٢]، فبعد بعثة محمد ﷺ انتهت الأديانُ السابقة، وانتهى العملُ بها، ووجبَ العملُ بما جاءَ به محمد ﷺ، لأن الأمرَ لله جل وعلا، وليس الأمر لشخص معيَّن، ولا للأهواء والشهوات والرغبات، فالله أمركم وأمرَ الأنبياءَ كلَّهم أن يُطيعوا محمداً ﷺ إذا بُعث، حتى عيسى عليه السلام إذا نزل في آخر الزمان فإنه سيتبع محمداً ﷺ ويحكم بشريعة محمد ﷺ، ولهٰذا قال ﷺ: «لو كانَ أخي موسى حيّاً بينَ أظْهُرِكم، ما حَلَّ لهُ إلا أنْ يَتْبَعَنِي»[1]، فالذين يدَّعون في هٰذا الزمان أن اليهوديةَ والنصرانيةَ والإسلامَ كلها أديانٌ صحيحة، ويُنكرون علينا تكفيرَ اليهودِ والنصارى لأنهم عندهم على أديانٍ صحيحة ويتبعون الأنبياء، هٰؤلاء نقولُ لهم: كذبتُم، هم الآن لا يتبعون الأنبياء، فلو كانوا يتبعونَ الأنبياءَ لاتَّبعوا محمداً ﷺ، لأن الذي يكفُر بمحمدٍ ﷺ فإنه كافرٌ بجميع الأنبياء، ولم يَبْقَ معه دينٌ، وليس تابعاً لأحدٍ من الأنبياء، فاليهود الآن ليسوا أتباعاً لموسى، ولا النصارى أتباعاً لعيسى، لأنَّ فترةَ الأنبياء انتهت ببعثة محمدٍ ﷺ،

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٤٦٣١).

وعَنْ أبي هُريرةَ رضي الله عنه قال: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «تجيءُ الأعمالُ يَومَ القِيامَةِ، فتَجِيءُ الصَّلاةُ فتَقولُ: يا رَبِّ أنا الصَّلاةُ. فيقولُ: إنَّكِ على خَيْرٍ. فتَجيءُ الصَّدَقةُ فتقولُ: يا رَبِّ أنا الصَّدَقةُ. فيقولُ: إنَّكِ على خَيْرٍ. ثُمَّ يجِيءُ الصِّيامُ فيقولُ: يا رَبِّ أنا الصِّيامُ. فيقولُ: إنَّكَ على خَيْرٍ. ثُمَّ تَجيءُ الأعمالُ على ذٰلكَ، فيقولُ: إنَّكِ على خَيْر. ثم يَجيءُ الإسْلامُ فيقولُ: يا رَبِّ أنتَ السَّلامُ وأنا الإسْلام. فيقول: إنَّكَ على خَيْرٍ، بكَ اليومَ آخُذُ، وبِكَ أُعْطِي. قال الله تعالى في كتابِهِ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. رواه أحمد[1].

فالذي يبقى على اليهودية أو النصرانية فإنه كافر، لأنه عصى موسى، وعصى عيسى، وعصى محمداً عليهم الصلاة والسلام، ولا يمكن أن يكون على الحق، لأن موسى وعيسى يأمرانه باتباع محمدٍ ﷺ، ولم يفعل.

---

(١) في «مسنده» برقم (٨٧٤٢).

وفي الصَّحيحِ عَنْ عائشةَ رضي الله عنها، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيهِ أمرُنا فَهُو رَدٌّ» رواه أحمد[1]. [٢٣]

---

[٢٣] حديثُ أبي هريرةَ واضحٌ بأنه لا يُحتسَبُ عند الله يومَ القيامةِ إلا الإسلامُ، وما عداهُ من الأديانِ فهو باطلٌ مردودٌ، ولا ينفعُ أصحابَهُ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، فالذين ماتوا قبل بعثةِ محمدٍ ﷺ وهم يتبعونَ أنبياءَهم فهم على الإسلام، لكن بعد بعثِ محمدٍ ﷺ فليس الإسلامُ إلا ما جاءَ بـه ﷺ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾.

وكذلك حديث عائشة «من عَمِلَ عملاً ليسَ عليه أمْرُنا فهو رَدٌّ» فإنه يبيِّنُ أنه لا دِينَ إلا ما جاء به الرسولُ ﷺ، وأنَّ من عَمِلَ عملاً مخالفاً للنبي ﷺ، أو لم يأتِ به النبيُّ ﷺ، فهو مردودٌ، فالذي يعملُ على اليهوديةِ، أو يعملُ على النصرانيةِ، أو يُحْدِثُ أشياءَ وبِدَعاً من عنده ويعملُ بها على أنها قرباتٌ وطاعات، دونَ دليلٍ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهو

---

(١) في «مسنده» برقم (٢٥٤٧٢)، وأخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، وقد سلف هذا الحديث في باب وجوب الإسلام.

. . . .

مردودٌ على صاحبه كائناً من كان، يهودياً أو نصرانياً أو مبتدعاً مسلماً.

فالإسلامُ فقط هو ما جاءَ به محمدٌ ﷺ ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] فدل على أن الذين لا يتبعون محمداً ﷺ لا يفلحونَ أبداً، وأنهم خاسِرون.

* * *

باب وجوب الاستِغناءِ بمُتابعتِهِ ﷺ عنْ كلِّ ما سِواهُ

وقول اللهِ تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]. [٢٤]

روى النَّسائيُّ وغيرُهُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ رأى في يَدِ عُمرَ بنِ الخطَّابِ ورقَةً مِنَ التَّوراةِ فقال: «أمُتَهوِّكون يا ابنَ الخَطَّابِ؟! لَقَدْ جِئْتُكُم بها بَيضاءَ نَقيَّةً، لو كانَ

---

[٢٤] ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي القرآن والسنة، والخطابُ للرَّسولِ ﷺ. وهٰذا فيه أن القرآنَ كلامُ الله منزَّلٌ، وليس مخلوقاً كما تقولُه الجهميَّةُ، فهو لم يقل: ما خلقنا لك الكتابَ، بل قال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: القرآن.

﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ فالله جل وعلا بيَّن فيه الدِّين الذي يقبلُهُ من عبادِه ولا يقبل منهم سواه، كما أنه بيَّن فيه أيضاً الدِّين الذي لا يقبله ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ من أمور الدين ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فهو هدى ورحمة للمؤمنين، أما الذين لا يُؤمنون فليس هو رحمة لهم وإنما هو حجةٌ عليهم.

مُوسى حيّاً واتَّبعتُمُوهُ وتَرَكْتُموني ضَلَلْتُم» وفي رواية: «لو كان مُوسَى حيّاً ما وَسِعَهُ إلا اتِّباعِي». فقال عُمرُ: رَضِيتُ باللهِ ربّاً، وبالإسْلامِ دِيناً، وبمحمَّدٍ نَبِيّاً[١].

[٢٥]

---

[٢٥] يقول ﷺ لأمته: لو كان موسى عليه السلام حيّاً واتبعتموه، مع أنه رسول الله وكليمه، لكن فترته انتهت عليه الصلاة والسلام، فلو اتبعتموه بعد بعثة محمد ﷺ لضَلَلْتُم، سبحان الله! يضلُّون وهو متبعون رسولاً! نعم، لأن هذا الرسول قد انتهت فترته، وجاءت فترة رسول آخر وهو محمدٌ ﷺ، والإنسان يدور مع أمر الله عز وجل حيثما كان، فالله عز وجل نسخ الشرائع السابقة بشريعة رسوله محمد ﷺ، فيجب العمل بالناسخ ولا يجوز العمل بالمنسوخ، فلو أن واحداً الآن صَلَّى إلى بيت المقدس وقال: بيت المقدس قبلة، والكعبة، وكلها مساجد، فإننا نقول له: صلاتك هذه باطلة لا تصحُّ، لأن استقبال بيت المقدس نُسِخَ وأُمرتَ باستقبال الكعبة، فعليك أن تدور مع أمر الله ولا تدر مع هواك، فإن الشيء إذا نُسخ لا يجوز العمل به.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٥١٥٦) من حديث جابر بن عبد الله، و(١٨٣٣٥) من حديث عبد الله بن ثابت، وفيه تمام تخريجه.

. . . .

وكذلك بقيةُ الدِّين، فلا يجوز لأحد أن يقول: أنا أعمل بالتوراة، مع أن التوراة نسخت، وقد حُرِّفت، لكن لو قُدِّر أنه ليس فيها تحريفٌ، فلا يجوز العمل بها لأنها منسوخة، فالتوراة إما محرَّفة وإما منسوخة، فلا يجوز العمل بها، وكذلك الإنجيل، إما محرَّف وإما منسوخ، ولم يبقَ إلا العمل بالقرآن الذي جاء به محمد ﷺ، والدين لله وما هو بالأهواء والشهوات والرغبات.

نعم، (لو كان موسى حياً) وهو أفضل أنبياء بني إسرائيل وهو كليمُ الله، لو كان حياً وقتَ بعثة محمد ﷺ ما وَسِعَه إلا اتباع الرسول، ولا يبقى على شريعته لأنها نُسخت وانتهت، والأمر لله جلَّ وعلا ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

(فقال عمر: رضيتُ بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ ﷺ نبياً) هذا هو الواجب: أن الإنسان إذا تبيَّن له الحقُّ أن لا يجادلَ فيه ولا يماطل، فهذا عمر رضي الله عنه كان يدور مع الحق، فهو ظن أن هٰذه الورقة من التوراة فيها حقٌّ فأعجبته، ولكن لما بيَّن له الرسول ﷺ هذا البيان اقتنع فقال: رضيتُ بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ ﷺ نبياً. هذا هو الواجب:

. . . .

أن الإنسان إذا تبيَّن له الحق يجب عليه المبادرةُ إلى قَبُوله، فإن تأخَّر عن قبوله فحَرِيٌّ أن يزيغ قلبه: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍۢ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠] فهٰذا فيه بطلان اتباع غير القرآن من الكتب السابقة لأنها منسوخة بالقرآن.

❋ ❋ ❋

باب ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام

وقوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ [الحج: ٧٨]. [٢٦]

---

[٢٦] هذا الباب فيه أن هناك من يتسمى بالإسلام، ولكنه يخرج منه بسبب أنه يرتكب ناقضاً من نواقض الإسلام، فيظن أنه مسلم وهو غير مسلم. مثال ذلك: الذي يشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلّي ويصوم، هٰذا مسلم لكنه إذا دعا غير الله أو استغاث بغير الله أو ذبح لغير الله، فقد أشرك بالله وخرج من الإسلام، لأن الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، هذا هو الإسلام، فإذا عمل عملاً، أو قال قولاً، أو اعتقد اعتقاداً يخالف الإسلام فإنه لا يكون مسلماً، ولو كان ينتسب إلى الإسلام، وما أكثر ما يحصل هٰذا، وهٰذا مما يجب على المسلم أن يحذره وأن يتعلم ما هو الإسلام الصحيح، وما هي مبطلات الإسلام ونواقضه حتى يتجنبها، أما إذا كان يجهل هٰذا فإنه قد يقع فيه ويخرج من الإسلام

عن الحارث الأشعري رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «آمُرُكم بخمسٍ اللهُ أمَرَني بهنَّ: السَّمعُ والطاعةُ والجهادُ والهجرةُ والجماعةُ، فإنه مَن خالَفَ الجماعةَ قِيْدَ شِبرٍ فقد خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلامِ من عُنُقِه إلا أن يَرجِعَ، ومَن دعا بدَعْوَى الجاهليةِ فإنه من جُثَا جهنَّمَ» فقال رجلٌ: يا رسولَ الله، وإن صلَّى وصامَ، قال: «وإن صلَّى وصامَ، فادعُوا بدعوى الله الذي

وهو لا يشعر، يقول الله جل وعلا: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ﴾ [الحج: ٧٨] ما هي ملَّة أبينا إبراهيم؟ هي التوحيد والإخلاص لله عز وجل، والبراءة من الشرك وأهله، هٰذه ملَّة أبينا إبراهيم، وما خالفها فإنه كفر وشرك بالله عز وجل، هٰذه دعوة الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، يدعون إلى الانقياد لله بالعبادة وترك عبادة ما سواه ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

سمَّاكم المسلمين والمؤمنين عِبادَ الله». رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح[1]. [٢٧]

---

[٢٧] هٰذا الحديث فيه أن النبي ﷺ قال: «آمركم بخمس»:

الأولى: السمع والطاعة لولي أمر المسلمين لأنه لا يستقيم الأمر إلا بالسمع والطاعة لولي أمر المسلمين، فالمسلمون لا يصلح أن يبقوا متفرقين مختلفين، لا بد أن يجتمعوا ويتوحَّدوا، ولا يجتمعون إلا على إمام أو ولي أمر، ولا تحصل الإمامة وولاية الأمر إلاّ بالسمع والطاعة، لكن في غير المعصية كما قال ﷺ: «لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصية الخالق»[2].

فيجب السمع والطاعة لولي الأمر وإلا لا يتم اجتماع المسلمين، ولا تتوحد كلمتهم، ولا يكون لهم جماعة ينضوون تحتها، فالذي لا يسمع لولي الأمر ولا يطيع، هٰذا ليس من الجماعة، هٰذا خرج من الجماعة، ومَن خرج من الجماعة فقد خلع رِبقة الإسلام من عنقه، هٰذا وعيدٌ شديد، الأمر ليس بالهيِّن، أن ينعزل الإنسان عن المسلمين، ويتخلف عن المسلمين باجتهاده ورأيه، فلا بد من الاجتماع من أجل أن تتوحَّد كلمةُ المسلمين، وتتم مصالحهم، ويقوم أمرهم.

---

(١) أحمد (٢٢٩١٠)، والترمذي (٢٨٦٣).

(٢) رواه أحمد (٣٨٨٩).

. . . .

الثانية: الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، فالله جل وعلا أمر بالدعوة أولاً، دعوة الكفار والمشركين إلى الإسلام، لأنه هو دين الله عز وجل، وما عداه فهو باطل، فلا بد من الدعوة إلى هٰذا الدين، ثم مَن استجاب وقَبِلَ الدعوةَ فالحمد لله، ومَن أبى فلا بد من الجهاد، وهو القتال لإعلاء كلمة الله عز وجل، ومَحْو الشرك من الأرض قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾[الأنفال: ٣٩]، فلا ينبغي أن يكون الدين بعضه لله وبعضه لغير الله، لأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبِّر، فهو المستحقُّ للعبادة، ولا دينَ إلاّ دين الله جل وعلا ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ﴾ أي: انقاد ﴿ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [آل عمران: ٨٣]، فجميع المخلوقات منقادةٌ لله إما طوعاً باتباع الشرع وطاعة الرسل، وهؤلاء هم المسلمون في كل زمان ومكان، أو كرهاً، أي: ينقاد كرهاً لقدر الله وقضائه، فإن قدر الله وقضاءه يقعان على الكفار والمسلمين، ويخضع العبد الكافر لله كرهاً لا طوعاً.

فالدين هو دين الله جل وعلا لا دين سواه، ولا يقبل الله من أحدٍ سواه يوم القيامة، وما دام الأمر كذلك فلا مجال

. . . .

لبقاء دين غير دين الإسلام، فلا بد من الجهاد لتوحيد العبادة لله عز وجل التي خلق الله الخلق من أجلها، وأرسل الرسل لبيانها، وأمر العباد بها.

الجهاد في سبيل الله هو القتال، أي: قتال المشركين إذا أبوا أن يقبلوا الإسلام، والجهاد فرض على المسلمين حسب الاستطاعة، قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٦] فالجهاد فرض ولكن على حسب الاستطاعة، فإذا كان عند المسلمين قوة وقدرة على تكوين الجيوش وغزو الكفار فإنه يجب عليهم ذلك، ولا بد من وجود الجهاد، فوجوده فرض كفاية، إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين وبقي في حق البقية سنة من أفضل العبادات، وإذا لم يقم به من يكفي أثم الجميع، فالجهاد فرض كفاية لا بد منه، أما إذا كان المسلمون ليس عندهم استطاعة فإنهم ينتظرون إلى أن يصبح عندهم قوة، فالنبي ﷺ مكث في مكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة مقتصراً على الدعوة إلى الله عز وجل، ولم يؤمر بالجهاد، لأن المسلمين لا يقدرون في تلك الفترة على الجهاد، ولما هاجر ﷺ إلى

. . . .

المدينة وصار له أنصار وأعوان فرض الله عليهم الجهاد، لأنهم صاروا يقدرون عليه، هٰذه هي المسألة الثانية.

الثالثة: الهجرة، والهجرة مأخوذة من الهَجْر: وهو الترك، ترك الشيء، قال تعالى: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥] والرجز: هو الأصنام، وهجرها: تركها هٰذا في اللغة.

وأما في الشرع فالهجرة: هي الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام فراراً بالدين، فالمسلم لا يبقى مع الكفار وهو يقدر على الهجرة إلى بلاد المسلمين، لأنه إذا بقي عند الكفار فإنهم يؤثِّرون عليه فيتأثر بهم، أو يمنعونه من عبادة الله عز وجل ويجبرونه على الكفر، فلا بد من الهجرة عند القدرة، والله توعَّد الذين لم يهاجروا وهم يقدرون على الهجرة شُحّاً بوطنهم أو بأموالهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧] أي: إذا كنتم مستضعفين في هٰذه الأرض لا تقدرون على إظهار دينكم فلماذا لم تنتقلوا إلى أرض تكونون أقوياء فيها ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ

. . . .

وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: ٩٧-١٠٠] بدلاً من أن يكون مُضيّقاً عليه في هذه البقعة فإنه يجد أرضاً واسعة ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠] فإذا مات وهو في الطريق فقد كتب الله له أجر الهجرة، وهٰذا فضل عظيم.

والحاصل أن الهجرة لا بد منها وهي قرينة الجهاد ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[الأنفال: ٧٢] فالهجرة قرينة الجهاد في سبيل الله وفيها فضل عظيم.

الرابعة: الجماعة: وهي أن تلزم جماعة المسلمين ولا تشذ عنهم، لأن الجماعة عصمة، ولأن كونك مع الجماعة فيه قوة وعصمة لك، أما كونك تنعزل، فهٰذا فيه خطر عليك وعلى دينك، فكن مع جماعة المسلمين ومع إمام المسلمين ولا تشذ عنهم. أما الذي يخرج عن الجماعة وعن السمع والطاعة، فهٰذا قد خلع رِبْقَةَ الإسلام من عنقه كما في الحديث، وفي الحديث الآخر: «مَن فارَقَ الجماعةَ شِبراً فماتَ فمِيتةٌ جاهليةٌ»[1]، فيجب على المسلم أن يكون مع

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩) من حديث ابن عباس.

. . . .

المسلمين ولا يشذ عنهم، أن يكون معهم ببدنه ويكون معهم برأيه وقوله وفعله. أما أن يكون معهم ببدنه ولكنه يخالفهم في رأيه بأن يكون له رأي آخر، فهٰذا لا يجوز.

وأشدُّ من ذٰلك إذا حمل السلاح على المسلمين، فإنه إذا حمل السلاح فقد نقض البيعة وخرج عن جماعة المسلمين، أي: صار من الخوارج، فيجب قتاله والأخذ على يده. أما إذا رأى رأي الخوارج وصوَّبه، لكنه لم يحمل السلاح، فهٰذا يُكف عنه، ولكنه يعتبر من الخوارج.

(فإنه مَن فارَقَ الجماعةَ قِيدَ شِبرٍ فقد خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلام من عُنُقه، إلا أن يرجع) أي: إلا أن يتوب إلى الله، هٰذا فتحُ مجال لمن سوَّلت له نفسه، أو زيَّن له دعاةُ الضلال الخروجَ عن الجماعة، فالله جعل له فرصة أن يتوب ويرجع، ومن تاب تاب الله عليه.

الخامسة: (ومنَ دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جُثا جهنم).

الواجب على المسلم أن يتبرأ من أمور الجاهلية، ولا يتشبه بأهل الجاهلية، لأن الجاهلية كفر وضلال، فلا يتخلَّق بأخلاق أهل الجاهليـة، والجاهلية: هي ما كان قبل بعثة

. . . .

النبي ﷺ. فمن حملته النخوة والعصبية على مفارقة الجماعة فهو على خصلة من خصال الجاهلية.

هذه هي الجاهلية، ثم لما بُعث رسول الله ﷺ زالت الجاهلية العامة وجاء العلم والقرآن والسنة، فزالت الجاهلية العامة ولله الحمد، لكن قد يبقى هناك جاهليات في بعض الأشخاص، أو في بعض البلدان، أو في بعض القبائل، فالجاهلية العامة زالت بالإسلام ولله الحمد، ولهذا قال ﷺ: «أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن بالأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة على الميت»[1] فمن فعل شيئاً من هذه الخصال فقد فعل شيئاً من الجاهلية، أي: يكون فيه جاهلية. ولما عيَّر أحد الصحابة أخاً له بأمة فقال له: يا ابن السوداء، قال له رسول الله ﷺ: «أعيَّرتَه بأُمِّه؟! إنك امرؤٌ فيك جاهلية»[2]، يعني: فيك صفة من صفات الجاهلية.

فالفخر بالأحساب، والطعن بالأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة على الميت، هذه كلها من أمور الجاهلية،

---

(١) أخرجه مسلم (٩٣٤) من حديث أبي مالك الأشعري.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١).

. . . .

فيجب على المسلمين أن يتركوها، وكذٰلك العصبية القبلية، أن يتعصب الإنسان لقبيلته، فالمسلمون كالجسد الواحد، ليس هناك فرق بين مسلم وآخر، ولا يتميَّز بعضهم عن بعض بنسب ولا بحسب، كلهم مسلمون، وهم يدٌ واحدة وبنيان واحد، وحسبهم واحد، فلا يتعصب أحدٌ لقبيلته أو لرئيسه أو لشيخه، هٰذه من أمور الجاهلية. أما المؤمن فإنه يرجع إلى الحق مهما كان، ويقبل الحق مع مَن كان وينقاد له، سواء كان الحق مع رئيسه، أو مع قبيلته، أو جماعته، أو مع غيرهم من المسلمين.

وفي إحدى الغزوات تشاجر شخص من الأنصار مع شخص من المهاجرين، فاقتَتَلا ـ يعني: تضاربا ـ فقال المهاجريُّ: يا لَلمهاجرين، وقال الأنصاريُّ: يا لَلأنصار، فسمع النبي ﷺ ذلك فقال: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهُرِكم، دعوها فإنها مُنتنة»[١].

فلا يجوز للإنسان أن يتعصب لقبيلته أو يحتمي بقبيلته خاصة، بل يحتمي بالمسلمين عموماً، فالنبي ﷺ عدَّ هذه

(١) أخرجه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤) من حديث جابر بن عبد الله.

. . . .

الدعوى من أمر الجاهلية، والله جل وعلا يقول لنساء الرسول ﷺ: ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤] ويقول جل وعلا: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [الفتح: ٢٦] حمية الجاهلية وتبرج الجاهلية ودعوى الجاهلية والقومية العربية وحكم الجاهلية قال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ كلها مرفوضة، نحن مسلمون أعزّنا الله بالإسلام كما قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: «نحن أمّةٌ أعزَّنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلّنا الله» فالعزة إنما هي بالإسلام ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨] فالعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

هذه هي أمور الجاهلية، فالواجب رفضها وتركها والابتعاد عنها، والشيخ ـ كما تعلمون ـ له رسالة اسمها «مسائل الجاهلية» ذكر فيها عدةَ أمور من أمور الجاهلية للتحذير منها، ففيها أكثر من مئة مسألة أو أكثر من مئة وعشرين مسألة كلها من مسائل الجاهلية، يجب على المسلم أن يتجنبها ويتجنب غيرها من أمور الجاهلية.

قال: (ومَن دعا بدعوى الجاهلية، فإنه من جُثا جهنم).

وفي الصحيح: «مَن فارَقَ الجماعةَ قِيدَ شِبرٍ فماتَ، فمِيتَتُه جاهليةٌ»[1] [٢٨]

هٰذا وعيد شديد، لأنه يكون من أهل النار بسبب أنه دعا بدعوى الجاهلية، والواجب أن المسلم يدعو بالإسلام، لا بدعوى الجاهلية.

(فقال رجلٌ: يا رسولَ الله، وإنْ صلَّى وصام، قال: وإن صلَّى وصام، فادعُوا بدعوى الله الذي سمّاكم المسلمين والمؤمنين عبادَ الله).

يعني: يكون من جُثا جهنم وإنْ صلَّى وصام، أي: يُعذَّب بهٰذه الخصلة، والمؤمن قد يُعذَّب في النار وإن لم يكفر، فإنه قد يُعذَّب بكبيرة في النار ويُخرَج منها بعد ذٰلك.

[٢٨] هٰذا أيضاً في الحث على لزوم الجماعة، (مَن فارق الجماعة قيد شبر) أي: ولو قليلاً، أو أدنى مفارقة للجماعة، مات على هٰذا ولم يتب، وهٰذا فيه فتح مجال لمن ابتُلي بشيء من الشذوذات والمخالفات بأن يتوب قبل الموت، أما إذا مات قبل أن يتوب فإنه يموت ميتة جاهلية، يعني يموت ومعه خصلة من خصال الجاهلية.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وفيه: «أبِدَعْوى الجاهلية، وأنا بينَ أظهُرِكم»[١]. [٢٩]

وقال أبو العباس: كلُّ ما خرجَ عن دعوى الإسلامِ والقرآنِ من نَسَبٍ أو بَلَدٍ أو جِنسٍ أو مذهبٍ أو طريقةٍ فهو من عزاءِ الجاهلية [٣٠]

---

[٢٩] هٰذا في القصة التي ذُكرت سابقاً في إحدى الغزوات، لما اقتتل شابان، أحدهما من المهاجرين، والآخر من الأنصار، وكلٌّ منهما دعا جماعته، فالمهاجريُّ دعا المهاجرين، والأنصاري دعا الأنصار، وهٰذا من دعوى الجاهلية، وهؤلاء مسلمون لا يجوز أن يدعوا بدعوى الجاهلية.

[٣٠] قال أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيِّناً ما هي الجاهلية: الجاهلية: كلُّ ما خرج عن الإسلام والقرآن فالواجب على المسلم أن ينتسب إلى الإسلام والقرآن ولا ينتسب إلى القبيلة أو البلد من باب الحمية والافتخار، فلا يجوز أن يعتزَّ بالقبيلة، بل يعتزّ بالإسلام، ولا يعتز بالبلد، فبلاد المسلمين كلها سواء، لا مزية لبعضها على بعض، إلا

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

. . . .

ما ميّزها الله عن غيرها كمكة والمدينة، أما بقية بلاد المسلمين فكلها سواء، سواء كانت في المشرق أو في المغرب، وكذلك لا يعتدُّ المسلم بالنسب أو بالبلد أو بالجنس، فيقول: أنا عربي وأنت أعجمي، هٰذا لا يجوز، ما دام الآخر مسلماً فهو أخوك ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠] عرب وعجم، جنّ وإنس، كلهم إخوة بالإيمان والإسلام.

(أو مذهب) من مذاهب العلماء كالحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي والظاهري وغيرها، لا يجوز أن نتعصب لها، إنما نأخذ بالدليل، ما وافق الدليل أخذنا به، سواء كان قول إمامنا أو قول غيره، وكل العلماء أئمة ولله الحمد، كل علماء أهل السنة أئمة، فأبو حنيفة إمام لنا، والشافعي ومالك وأحمد أئمة لنا، لا نتفرق: أنا حنفي وأنت حنبلي وكذا وكذا، نحن نتبع الدليل، إذا لاح لنا الدليل سواء كان مع إمامي أو إمامك فهو المتَّبع، ولا نتعصب لرأي إمام أو مذهب إمام، بل نتمسَّك بالحق.

(أو طريقة) من طرق الصوفية، فالصوفية لهم طرق، كل طائفة لها طريقة ولها شيخ، وهم يتعصبون لهذه الأشياء، كالنقشبندي، التيجاني، البرهاني، القادري، إلى غير ذٰلك،

بـل لمـا اختَصَـمَ مُهـاجِـريٌّ وأنصـاريٌّ، فقـال المهاجريُّ: يا لَلمُهاجرين، وقال الأنصاريُّ: يا لَلأنصار، قال ﷺ: «أبِدعوى الجاهليَّةِ وأنا بين أظهُرِكم» وغَضِبَ لذلك غَضَباً شديداً. [٣١]

لهم طرق كثيرة، والإسلام ليس فيه انقسامات، الإسلام هو إسلام واحد، والمسلمون إخوة، ليس هناك نقشبندي وقادري وبرهاني وغير ذلك، كل هذه من كيد الشيطان للمسلمين، الواجب على المسلمين أن يكونوا جماعةً واحدةً وأن يعملوا بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وبما عليه سلفهم الصالح.

(فهو من عزاء الجاهلية) كل هذه الأمور يقول شيخ الإسلام إنها من عزاء الجاهلية، و«من تعزّى بعزاء الجاهلية فأعِضُّوه بِهَنِ أبيه ولا تَكْنُوا»[1].

[٣١] مع أن لفظ المهاجرين لفظ شرعي، ولفظ الأنصار لفظ شرعي أيضاً، لكن لا يجوز أن نتعزَّى بالأنصار والمهاجرين، فالمهاجرون والأنصار إخوة، وهم جماعة واحدة، لا نفرِّق بينهم فننتسب لبعضهم ونترك الآخر، كلهم إخواننا.

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٢٣٦) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه

وقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨]. [٣٢]

---

[٣٢] (باب الدخول في الإسلام كله) بمعنى أنك تقبل الإسلام كله، فلا تأخذ بعضه وتترك بعضه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨] أي: في الإسلام، اقبلوه كله، ولا تأخذوا بعضه وتتركوا البعض الآخر، فإن مَن فعل ذٰلك فإنه كافر بالإسلام، قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ ﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١] الذي يؤمن ببعض الرسل أو ببعض الكتاب أو ببعض الإسلام ويكفر بالبعض الآخر فهو كافر بالجميع ﴿ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥] فالواجب على المسلم أن يقبل

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [النساء: ٦٠].

[٣٣]

الإسلام كله، فيعمل بما يستطيع منه، لكن يؤمن به كله، أما أن يؤمن ببعض ويكفر بالبعض الآخر فهٰذا لا يجوز ولا يكفي، أو أن يأخذ من الإسلام ما وافق هواه، وما خالف هواه تركه، فهٰذا أيضاً لا يجوز ولا يكفي، فيجب أن يُقبل الإسلام جميعه، ويُؤمن بالإسلام كله.

(وقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾). كافة: يعني جميع الإسلام، فلا تأخذ بعضه وتترك بعضه حسب هواك ورغبتك، أو تأخذ الذي يُرضيك، الإسلام كله وحدة متكاملة.

[٣٣] ومن الدخول في الإسلام كافة تحكيمُ الشريعة، فهٰذه من أمور الإسلام، فالذي يدَّعي أنه مسلم، ولكنه يعزل الشريعة عن الحكم ويحكِّم القوانين، فهٰذا ليس مسلماً، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ قال: يزعمون، والزعم أكذب الحديث، فدلَّ على أن دعواهم ليست صحيحة ﴿يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]. [٣٤]

أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠] فلا بد من الحكم بما أنزل الله، أما الذي يُقصي الحكم بما أنزل الله نهائياً ويجعل محل ذلك القوانين، هٰذا ليس بمسلم ولو كان يزعم أنه مسلم، وهٰذا في القرآن ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ انظر: «يريدون» وهو عبارة عن نية في القلب فقط، فكيف إذا نفَّذ، فالأمر أشد، إذا نوى بقلبه فهو ليس بمؤمن، فكيف إذا نفَّذ.

[٣٤] هٰذا فيه النهي عن التفرق في الدين ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩] أي: أحزاباً وجماعات، هٰذا ذم وتحذير فالمسلمون جماعة واحدة وحزب واحد، هم حزب الله وجند الله، فلا ينقسمون إلى أحزاب وجماعات، وكلٌّ يدعو إلى حزبه أو إلى جماعته، ويضلل الآخرين وينتقص الآخرين، هٰذا لا يجوز بين المسلمين، هٰذا من أمور الجاهلية، المسلمون يدٌ واحدةٌ وجماعةٌ واحدة وحزبٌ واحدٌ، وإذا اختلفوا يرجعون إلى الكتاب والسنة ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٦] تَبْيَضُّ وجوهُ أهلِ السنَّةِ والائتلاف، وتَسوَدُّ وجوهُ أهل البِدَعِ والاختلاف. [٣٥]

تَأْوِيلًا ﴾[النساء: ٥٩] فالواجب على المسلمين أن يكونوا جماعة واحدة وحزباً واحداً، وإذا اختلفوا يتحاكمون إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فلا يقول كل واحد منهم: نبقى على ما نحن عليه، ولا نرجع عما نحن عليه، هٰذا من أمور الجاهلية.

وقوله: ﴿ لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ هٰذه براءة، برَّأ الله رسوله ﷺ من الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً، يعني: جماعات، فالمسلمون جماعة واحدة لا انقسام ولا تفرُّق، والنزاع والخلاف سيحصل، ولكن يُحسم بالتحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فمن كان معه الصواب رجعنا إليه، ومن كان على خطأ يرجع عن خطئه ولا يتعصب لرأيه أو حزبه أو جماعته، هٰذا شأن المسلمين.

[٣٥] هٰذه الآية بعد قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

. . . .

حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠٣]، ثم قال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ حبل الله: هو القرآن والإسلام والرسول ﷺ ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ إلى جماعات وأحزاب نهى عن التفرُّق ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣-١٠٥] نهى عن التفرق في أول الآيات ثم قال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾، ثم نهى عن التشبُّه بالأمم السابقة الذين تفرقوا في دينهم فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ اختلفوا وتفرقوا، وعندهم الوحي المنزَّل، ولم يتحاكموا إليه، بل كلٌّ يتعصّب لرأيه ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الذين اختلفوا وتفرقوا وتركوا ما أنزل الله، لم يرجعوا لحَسْم الخلاف إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، بل كلٌّ بقي على مذهبه، وتركوا الكتاب المنزَّل واكتفوا بمناهجهم ومذاهبهم وأقوالهم ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: تبيضُّ

عن عبدِ الله بنِ عمرٍو رضيِ الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليأتِيَنَّ على أُمتي ما أتى على بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بالنَّعْلِ، حتى إنْ كان منهم مَن أتى أُمَّه علانيةً كان في أُمتي مَن يصنعُ ذٰلك، وإن بني إسرائيلَ تفرَّقَتْ على ثِنتَينِ وسبعين مِلَّة» وتمام الحديث قوله: «وتفترقُ هٰذه الأمةُ على ثلاثٍ وسبعين ملَّةً كلهم في النار إلا ملَّةً واحدةً» قالوا: ومَن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي» رواه الترمذي[1]. [٣٦]

وجوه أهل السنة والجماعة، وتسودُّ وجوه أهل الفرقة والاختلاف. هٰذا مآلهُم يوم القيامة، فالذين يبقون على اختلافهم ويتعصبون لآرائهم تسودُّ وجوههم يوم القيامة، والذين اجتمعوا على الحق وحسموا نزاعهم بالدليل، هؤلاء تبيضُّ وجوههم يوم القيامة.

[٣٦] هٰذا تحذير من هٰذا الذي سيقع في آخر الزمان، تحذير

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) وقال: حديث حسن غريب. ويشهد له حديث معاوية عند أحمد (١٦٩٣٧) وأبي داود (٤٥٩٧) وسنده حسن، وحديث أنس بن مالك عند ابن ماجه (٣٩٩٣) وسنده جيد، وحديث عوف بن مالك عند ابن ماجه (٣٩٩٢). فالحديث صحيح بمجموع هذه الطرق.

. . . .

للأمة، وهٰذا من حرصه ﷺ على أمته وشَفَقته عليهم أنه أخبرهم عما سيحصل وبيّن لهم كيف النجاة منه، فبنو إسرائيل تفرَّقوا واختلفوا ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥] هٰذا في بني إسرائيل، فما دام أن هٰذا حدث في بني إسرائيل، فسيحدثُ في هٰذه الأمة عند مَن يقلِّدهم، وقد حدث، لكن عند حدوثه يجب على المسلم أن لا يتعصب، وإنما يحرص على الدليل واتباع الكتاب والسنة حتى ينجو من هٰذه الفتنة وهٰذا الشر وهٰذا الاختلاف، فهٰذا خبر معناه التحذير، وهو من معجزاته ﷺ، أخبر أنه سيوجد مَن يتشبَّه باليهود والنصارى حتى في أتفه الأشياء أو أقبحها وأشنعها، حتى لو كان في اليهود والنصارى مَن يأتي أُمَّه، يعني يُجامع أُمه، لوُجِدَ في هٰذه الأمة من يفعل ذٰلك تقليداً لهم لأنه يعتبر ما هم عليه هو الكمال ولو كان أقبح الأشياء وأشنعها فالزنا عموماً فاحشة وساء سبيلا. والزنا بالأم أقبح أنواع الزنا ولو فعله الكفار صار عند بعض مستحسناً، وفي الحديث الآخر: «حتى لو دخلوا جُحرَ ضَبٍّ لدخلتموه»[1]، هٰذا فيه التحذير من التشبُّه باليهود والنصارى، وأنه خطر عظيم على المسلمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩).

فليتأمَّل المؤمنُ الذي يرجو لِقاءَ اللهِ كلامَ الصادقِ المصدوقِ في هٰذا المقام، خصوصاً قوله: «ما أنا عليه وأصحابي». [٣٧]

(وإنَّ بني إسرائيل تفرَّقَتْ على ثِنتَينِ وسبعين مِلَّةً، وتفترقُ أُمَّتي على ثلاثٍ وسبعين مِلَّةً، كلُّهم في النار إلا مِلَّةً واحدةً» قالوا: مَن هي يا رسولَ الله، قال: «ما أنا عليه وأصحابي) أخبر ﷺ أن في هٰذه الأمة مَن يتشبَّه باليهود والنصارى، وأن اليهود والنصارى افترقوا، فاليهود افترقوا على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على ثنتين وسبعين، وستفترق هٰذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة تقليداً لهم، وكلها في النار إلا واحدة، وهي التي بقيت على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، فلا نجاة من النار إلا باتباع الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، ومن لم يكن كذلك فهو في النار، إما لكفره وإما لضلاله، فليست كلُّ الفرق كافرةً، بعضها كافر، وبعضها دون الكفر، لكنها كلها متوعَّدة بالنار لكفرها أو لضلالها.

[٣٧] ليتأمل المسلم الناصح لنفسه كلامَ الصادق المصدوق، وهو الرسول ﷺ، فهو الصادق فيما أخبر به ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، المصدوق: أي:

يا لهذه المَوعِظةِ لو وافَقَت من القُلوبِ حياةً. [٣٨]

المصدَّق من الله تعالى، فالله هو الذي أخبره بذٰلك، فهو صادق وهو مصدوق، صادق فيما أخبر به، ومصدوق فيما أُخبر به من قبل الله عليه الصلاة والسلام، وليتأمَّل المسلم اللبيب العاقل هٰذا الأمر، وأنه لا بد أن يحدث، ولا نجاة منه إلا بما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، وهٰذا يستدعي منّا أن نتعلَّم ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، أما أن كُلًّا يدَّعي أنه على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، وهو جاهل بما كان عليه الرسول وأصحابه، أو يدري ولكنه تعمَّد الخطأ، فهٰذا لا يصح أبداً ولا يجوز، فلا بد أن نتعلَّم ونعرف ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، حتى نتمسَّك به ولا نلتفت إلى سواه.

[٣٨] هٰذه موعظة الرسول ﷺ، لو وافقت من القلوب حياة لكان للقلوب معها شأنٌ بالاعتبار والامتثال والحرص على معرفة الحق والعمل به، وأن لا يكون الإنسانُ إمَّعةً يكون مع الناس أينما كانوا، بل يكون مع الحق دائماً وأبداً، ولو خالفه الناس ولا يقلِّد بغير هُدى تقليدَ الأعمى، عليه أن يعرف الحق أولاً، ثم يعمل به ويدعو إليه، هٰذا هو الواجب على كل مسلم، أما أن تقول: «دعوا الناس على ما هم عليه»،

. . . .

عملاً بمقولة: «حريَّة الرأي»، «الرأي والرأي الآخر»، «لا تحجروا على الناس وتضيقوا عليهم» هٰذا كلام باطل، هٰذا كلام أهل الضلال والعياذ بالله، هٰذا مخالف لقول الرسول ﷺ، فالواجب أن ندعو الناس إلى الصواب وإلى الحق، ولا نقرهم على ضلالهم، ولا على ما هم عليه، ونقول: حرية الرأي، ليس هناك شيء اسمه حرية رأي، وإنما الواجب اتباع الكتاب والسنة، لو كان هناك حرية رأي لم نحتج إلى الرسل ولا إلى الكتب، بل كل يتبع رأيه وعقله، فالرأي إذا خالف الوحي يجب أن يُترك، أما إذا وافق الوحي فالحمد لله، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لو كان الدين بالرأي لكان أسفلُ الخفِّ أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيت النبي ﷺ يمسح على أعلى الخفِّ[١]. فالدين ليس بالرأي وإنما بالاتباع.

يقول سهل بن حنيف رضي الله عنه: «يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أردَّ أمرَ رسول الله ﷺ لرددتُه»[٢] وهٰذا في قصة الحديبية، لما تمَّ الصلح بين النبي ﷺ والمشركين، وكان من

(١) أخرجه أبو داود (١٦٢-١٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٨١) و(٧٣٠٨)، ومسلم (١٧٨٥).

ورواه أيضاً من حديث أبي هريرة وصحَّحه ولكن ليس فيه ذِكرُ النار[١]، وهو في حديثِ معاويةَ عند أحمد وأبي داود، وفيه: «أنه سيخرجُ من أُمتي قومٌ تَتَجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه،

بنوده: «أن مَن جاء من الكفار إلى المسلمين مسلماً يردُّه المسلمون إليهم، ومن ذهب من المسلمين إلى الكفار لا يردّونه»، فشقَّ هٰذا على سهل لأنه لا يعرف العواقب، والنبي ﷺ يقول: «مَن ذهب منا إليهم فلا خير فيه» يعني: من ذهب من المسلمين إلى الكفار لا خير فيه فلا يرجع، ومن جاء من المشركين إلى المسلمين وردُّوه فسيجعل الله له فَرَجاً ومخرجاً ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢] ثم بعد ذٰلك تبيَّن الحق وأن هٰذا الصلح في غاية المصلحة للمسلمين، لأنه كفَّ أذى الكفار عن المسلمين، وسمحوا للمسلمين بالهجرة، وكثر المهاجرون، ووضعت الحرب أوزارها، وصار المسلمون يدعون إلى الله عز وجل لا يعترضهم أحد، فسمّاه الله فتحاً مبيناً ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١] هٰذا هو صلح الحديبية.

---

(١) الترمذي (٢٦٤٠).

فلا يبقى منه عِرْقٌ ولا مِفصَلٌ إلا دَخَلَه»(١)، وقد تقدَّمَ قولُه: «ومُبْتَغٍ في الإسلامِ سُنَّةَ الجاهلية». [٣٩]

---

[٣٩] الله جلَّ وعلا نهى عن اتِّباع الأهواء قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣] ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٣] فالذي يبلغه الحق ولا يقبله يكون متبعاً لهواه ويُعاقَب بأن الله يختم على قلبه، فلا يقبل الحق بعد ذٰلك ـ والعياذ بالله ـ عقوبةً له، فاتباع الهوى شر، والواجب على المسلم أن يتبع الحق، سواء وافق هواه أو خالفه، قال تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١] فاتباع الهوى شر، وفي آخر الزمان تكثر الأهواء في الناس، وتتجارى بهم ـ بمعنى أنها تدخل في عروقهم ـ كما يتجارى الكَلَبُ ـ وهو مرضٌ يصيب الإنسان من عضَّة الكلب المصاب بالسُّعار ـ بصاحبه، إذا عضّ الكلب الإنسان فإن ريقه يدخل في جسم الإنسان، وفي عروقه وفي جسمه كله، ويتجارى في جسمه كله، والأهواء تتجارى في الناس مثل داء الكَلَب.

---

(١) أحمد (١٦٩٣٧)، وأبو داود (٤٥٩٧).

باب ما جاء
أن البِدْعَةَ أشدُّ من الكبائر [٤٠]

[٤٠] البدعة: لغة هي الشيء المُحدَث على غير مِثالٍ سابق، ومنه قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧] أي: أن الله جل وعلا خلق السماوات والأرض وأوجدهما من عَدَمٍ، فالبدعة: هي الشيء المُحدَث، هٰذا في اللغة، وأما البدعة في الشرع: فهي إحداثُ شيءٍ في الدِّين ليس له أصلٌ من كتاب الله ولا من سنة رسوله ﷺ، كإحداث عبادة ليس لها أصل، لأن العبادات توقيفية، فلا بد لها من دليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما ليس عليه دليل فإنه بدعة مذمومة مردودة، لأن الله أكملَ هذا الدين، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣] فأخبر سبحانه أنه أكملَ الدينَ قبل وفاة النبي ﷺ، فما تُوفِّي رسول الله ﷺ إلاّ وقد أكمل اللهُ الدِّينَ للأمة، فأي شيء بعد ذٰلك يُحدَث فإنه مردود، كما قال ﷺ: «مَن أحدَثَ في أمرنا هٰذا ما ليس منه فهو ردٌّ»[1]، وفي رواية: «مَن عَمِلَ عملاً ليس

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) (١٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

. . . .

عليه أمْرنا فهو ردٌّ»[١] مردودٌ عليه، فمن أحدث في أمر النبي ﷺ، أو عمل عملاً ليس عليه أمر الرسول ﷺ، فإنه لا يقبل عند الله، وهو مردودٌ على صاحبه وإن كان صاحبه حسن النية ويريد الأجر، فهٰذا لا يسوِّغ البدعة ولو حَسُن قَصْدُ صاحبها، أو نوى بها التقرُّب إلى الله وقال: هٰذه زيادة خير، نقول له: هٰذه زيادة شر وليست خيراً، الخير فيما جاء به رسول الله ﷺ، ولهٰذا قال ﷺ: «إن خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمورِ مُحدَثاتُها»[٢]، هٰذا دليل على أن البدعة شر، وإن كان صاحبُها يظن أنها خير «وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النار» كل بدعة ضلالة، ليس هناك بدعة حسنة كما يقول من يقوله من المبتدعة الذين يروِّجون البدع بأنها بدع حسنة وليست بدعاً سيئة، فالرسول ﷺ أخبر أن كل بدعة فهي ضلالة، وليس هناك بدعة هداية أو خير، فلو كانت هٰذه الأعمال خيراً لشرعها الله جل وعلا لعباده، فإن الله جل وعلا لم يترك شيئاً فيه خير للعباد إلا شرعه

---

(١) رواه مسلم (١٧١٨) (١٨).

(٢) أخرجه مسلم (٨٦٧)، والنسائي (١٥٧٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

. . . .

لهم، والرسول ﷺ لم يترك شيئاً من الدين إلا بيَّنه، ولم يكتم منه شيئاً، فقد بلَّغ البلاغَ المبين عليه الصلاة والسلام.

وقال عليه الصلاة والسلام: (عليكم بسُنتي وسُنة الخلفاء الراشِدين المهديين من بعدي، تمسَّكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنواجِذِ، وإياكم ومُحدَثات الأمور) ـ هٰذا فيه تحذير ـ (فإنَّ كلَّ مُحدَثة بدعةٌ، وكل بدعة ضلالة) فليس في البدع شيء حسن، بل كلها ضلالة بشهادة الرسول ﷺ، فالذي يأتي بعبادةٍ أو عملٍ يتقرَّب به إلى الله، ولم يكن عليه دليل من كتاب الله ولا سنة رسوله فإنه بدعة، وهو ضلالة وشر، وليس فيه خير كما يزعم المبتدعة الذين يُحدِثون أشياء من الأذكار، أو العبادات، أو الصيام، أو الصلوات، أو الأدعية، أو الأعياد أو غير ذٰلك، ويظنون أنه يُقرِّبهم إلى الله، وأنه مشروع، هٰذا باطل مردود على صاحبه، فالبدع لا خير فيها، ولا حدثت بدعةٌ إلا رُفِعَ مثلُها من السُّنة، والدين كاملٌ ولله الحمد، والباب مفتوح لكل مَن يريد الخير على طريقة الرسول ﷺ، أما أن يأتي بأشياء ليس لها أصل في كتاب الله ولا من سنة رسوله فهٰذه مردودة، ولهذا اهتمَّ العلماء رحمهم الله بالتحذير من البدع وألَّفوا في ذٰلك مؤلَّفات كثيرة، مطوَّلة ومختصرة،

. . . .

ومن ذٰلك كتاب «الاعتصام» للإمام الشاطبي و«اقتضاء الصراط المستقيم» لشيخ الإسلام ابن تيمية، و«البدع والنهي عنها» لمحمد بن وضاح، و«الباعث على إنكار البدع والحوادث» لأبي شامة، وغير ذٰلك من الكتب المطوَّلة والمختصرة، وكما جاء في شروح الأحاديث النبوية بيانُ البدع والتحذير منها.

فالبدع شرٌّ، وأهلُها أهلُ ضلال، وهي تحارب السُّنن، ولذٰلك تجدُ المبتدعة يُبغضون السُّنن ويُحبون البدع، وينشطون في إحياء البدع وإذا جاءت السنة تكاسلوا وثَقُلت عليهم السنن، هٰذا شيء معروف عن المبتدعة أنهم لا ينشطون إلا في البدع ومواسم البدع، أما السنن فإنهم من أكسل الناس عنها، وهٰذا عقوبة لهم من الله سبحانه وتعالى، لأن مَن ترك الحق ابتُلي بالباطل.

فالبدع لا يُتساهَلُ في شأنها أبداً، لأنها خطر على الدين وخطر على المسلمين، وبها يزول الدين شيئاً فشيئاً، وتحلُّ محلَّه البدع، وهٰذا ما يريده الشيطان لبني آدم، يريد أن يُزَحزِحَهم عن الشريعة إلى البدع، وهٰذا ما يريده شياطين الإنس والجن، أن يُزَحزِحوا الناس عن السنن إلى البدع.

. . . .

ثم إن بعضَهم أو كثيراً منهم له مطامعُ في هٰذه الأمور، لأنه يعيش من ورائها ويأكل بها، لهم مطامع دنيوية، ولهم بها رئاسة يترأسون بها على الناس، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [التوبة: ٥٩]، لأعزَّهم الله ولأغناهم الله، فلا شك أن العزَّ والرِّفعة في الدنيا والآخرة هي بالتمسُّك بالسُّنن وترك البدع. هٰذا باب عظيم، ينبغي العناية به.

ولهذا قال رحمه الله: (باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر) الكبائر: هي الذنوب الكبار، لأن الذنوبُ تنقسم إلى قسمين: كبائر وصغائر، فالكبائر ضابطُها: كلُّ معصية أوجَبَ اللهُ عليها حدّاً في الدنيا، كحد الزنى، وحد السرقة، والقصاص، وحد الشُّرب، هٰذه كبائر، يعني: ما عليه حدٌّ في الدنيا يُقام على مَن ارتكَبَه، فهو من الكبائر، أو ما عليه وعيدٌ في الآخرة، كالتوعد بالنار على من فعل كذا، أو باللعنة، أو بالغضب. هٰذا ضابط الكبيرة، ما رُتِّب عليه حدٌّ في الدنيا، أو وعيدٌ في الآخرة، أو خُتم بغضبٍ أو لعنةٍ، أو تبرَّأ الرسولُ ﷺ من فاعله، مثل: ليس منا من فعل كذا.

. . . .

أما ما جاء النهي عنه، ولم يُرتَّب عليه شيء من ذلك، وإنما هو نهي فقط، فهٰذه ذنوب صغائر.

وأكبر الكبائر الشركُ بالله عز وجل، لأن الله أخبر أنه لا يغفر لصاحبه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء: ٤٨] وأما الكبائر التي دون الشرك هٰذه تحت المشيئة: إن شاء الله غفر لصاحبها، وإن شاء عذَّبه بها قال تعالى: ﴿ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾.

ومرتكبُ الكبيرة دون الشرك لا يكفر عند أهل السنة والجماعة، وإنما يكون ناقصَ الإيمان فيكون فاسقاً، أما الخوارج والمعتزلة فيرون أن مرتكب الكبيرة خارج من الإسلام، والجهمية والمرجئة لا تضر عندهم المعاصي، فالخوارج يُكفِّرون صاحبها ويُخلِّدونه في النار، والمعتزلة يقولون: هو في المنزلة بين المنزلتين، لا هو بمسلم ولا بكافر، فإن مات ولم يتب فهو مخلَّد في النار كما تقوله الخوارج، والمرجئة يقولون: الإيمان بالقلب ولا تضر معه معصية، أما أهل السنة والجماعة فيقولون: مرتكب الكبيرة التي دون الشرك ناقص الإيمان وهو تحت المشيئة، ليس بكافر ولٰكنه ناقص الإيمان، أو فاسق، أو مؤمن بإيمانه فاسق

لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. [٤١]

بكبيرته، لٰكنه لا يخرج من الإسلام، وهو متعرِّض للوعيد الذي توعَّد الله به.

فالبدعة أشدُّ من الكبائر من وجه أن البدعة إحداثٌ في الدين لم يشرعه الله، فصاحبها يظن أنها من الدين، أما مرتكب الكبيرة فلا يدّعي أن ما فعله من الدين، بل يعترف أنه عاصٍ، وأنه مخالف، ولٰكن قادَتْه الشهوةُ فوقع في المعصية، ولا يدّعي أن هٰذا دين، بخلاف المبتدع فهو يظنُّ أن هٰذا من الدين، فلذلك صارت البدعةُ أشدَّ من الكبيرة.

وكذٰلك صاحب الكبيرة يعرف أنه مخطئ ويريد أن يتوب، بخلاف صاحب البدعة، فإنه لا يعترف أنه مخطئ، بل يرى أنه مُصيب وأن عمله هٰذا صحيح، ولذٰلك قلَّ أن يتوب المبتدع لأنه يرى أنه على حق، بخلاف العاصي وإن كان مرتكباً لكبيرة فإنه يرى أنه مخطئ ويخاف من العقوبة، وكثيراً ما يتوب أصحاب الكبائر، هٰذا وجه كوْن البدعة أشد من الكبيرة.

[٤١] البدعة قد تكون شركاً، وقد تكون دون ذٰلك، وهي أقسام: منها: بدعة شركية تُخرج من الدين، كدعاء غير الله، والاستغاثة بالأموات، والذبح للقبور، فهٰذه بدعة شركية

وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٤٤]. [٤٢]

لا يغفرها الله إلا بالتوبة، فإذا مات الإنسان عليها فهو مخلَّد في النار ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ والشركُ ابتداعٌ، لأن الله جل وعلا خلق الخلق لعبادته، فإذا عبدوا معه غيره فقد أحدثوا في دين الله ما ليس منه، وهٰذا أعظم البدع، فالشرك أعظم البدع ـ والعياذ بالله ـ لأنه شَرْعُ دينٍ لم يأذن الله به، ولا يرضى به.

[٤٢] ومن وجوه كون البدعة شرّاً من الكبيرة أن المبتدع يفتري على الله الكذبَ ويقول: هٰذا شرع، هٰذا دين، وهٰذا فيه أجرٌ وثواب، فهو يفتري على الله الكذب، بخلاف العاصي فإنه لا يدَّعي أن هٰذا دين، لأنه يعرف أنه عاصٍ، أما المبتدع فهو يفتري على الله الكذب حيث يقول: إن هٰذا من الدِّين، وإن هذا يقرِّب من الله سبحانه وتعالى، ثم إن العاصي لا يُقتدى به، بل الناس يذمُّونه، بخلاف المبتدع فإنه يقتدي به الناس ويتعبَّدون ببدعته، فهو شرٌّ من مرتكب الكبيرة ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٤٤] لأنهم يتبعونه، خصوصاً إذا كان له نصيبٌ من العلم أو عنده عبادة وتُقى وورع، فالناس يغترُّون به ويقتدون

وقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]. [٤٣]

به في بِدَعِه، بخلاف الزاني وشارب الخمر، فهٰذه كبائر، والناس لا يقتدون بفاعلها، بل يمقتونه ويذمُّونه، فهٰذا أيضاً من وجوه كون البدعة شرّاً من الكبيرة.

[٤٣] وكذٰلك المبتدع يتحمل وِزْرَه ووِزْرَ من اقتدى به يوم القيامة؛ لأنه قدوة يقتدي به الناس، يظنون أنه على حق، وأن فِعلَه عملٌ طيب، خصوصاً إذا كان يدعو إلى البدعة ويُحسِّنها، فإنه يتحمَّل وِزرَه ووِزرَ مَن اقتدى به واتبعه، وهٰذا خطر عظيم، وهو خطر البِدَع والمُحدَثات، وكم من بدعة انتشرت في الناس وتوارثوها جيلاً بعد جيل بسبب المُبتدع الأول الذي اخترعها، فيكون عليه نصيبٌ من آثام كلِّ مَن اتبعه، أي: عليه مثل أوزارهم، فالمبتدعة يحملون أوزارهم كاملةً يوم القيامة، ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم، ألا ساء ما يزرون، نسأل الله العافية.

فهٰذا فيه التحذير من البدع، وأنه يلحق صاحبَها إثمٌ كبير أكبر من إثمه في نفسه، بل كلُّ مَن عمل بهٰذه البدعة، فإنه

وفي الصحيح أنه ﷺ قال في الخوارج: «أينَما لَقِيتُموهم فاقتُلُوهم»[١]. [٤٤]

يلحق صاحبَها الأولَ إثمُ من عمل بها، ولهٰذا جاء في الحديث: «ما قُتلت نفسٌ ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كِفلٌ من دمها»[٢] لأنه أول مَن سنَّ القتل، لأنه قتل أخاه ظلماً وعدواناً، فهو أول مَن سنَّ القتل، لذٰلك كلٌّ من قتل نفساً بغير حق يلحق ابنَ آدم الأول كِفلٌ أي نصيب كبير من دمها، والعياذ بالله.

[٤٤] ومن البدع المستقبحة بدعةُ الخوارج، والخوارج: هم الذين يخرجون على ولاة أمور المسلمين، فيخلعون السمع والطاعة، ويخرجون عليهم بالسيف، ويكفرون المسلمين بالكبائر التي دون الشرك، هؤلاء هم الخوارج، وقد أمر النبي ﷺ بقتلهم لكفِّ شرِّهم والقضاءِ على بدعتهم، لأن السنة والشريعة يحثان على السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين لِمَا يترتب على ذٰلك من المصالح العظيمة،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٧)، ومسلم (١٠٦٦) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٣٦)، ومسلم (١٦٧٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

. . . .

واجتماع الكلمة، وحَقْن الدماء، والحكم بالشريعة، وإقامة الحدود والجهاد، وغير ذٰلك من المصالح العظيمة، فإذا انتَقَضَ الأمرُ ضاعت هٰذه المصالح، وانتشرت الفوضى، وسُفِكت الدماء، ونُهبت الأموال، وانتُهِكت الأعراض، وعُطِّلت الحدود، إلى غير ذٰلك من الأمور، فالاجتماع والسمع والطاعة لولاة أمور المسلمين فرضٌ على المسلمين من أجل قيام مصالح الدنيا ومصالح الدين.

أما من خرج عن هٰذا فقد ابتدع في دين الله ما ليس منه، وإن كانوا يظنون أنهم يُنكرون المنكر، ويجاهدون في سبيل الله، فإنهم في الحقيقة مبتدعةٌ وخارجون عن شرع الله عز وجل والذي ارتكبوه من المنكر أشدُّ من المنكر الذي يزعمون أن وليَّ الأمر فعله، أو الذي وقع منه بالفعل، فإنه حتى لو كان فعله فالخروج عليه أشدُّ مفسدةً من مفسدة ترك الإنكار عليه علانية، فيجب السمعُ والطاعةُ.

وأول بذرة الخوارج كانت في عهد النبي ﷺ حينما قال ذو الخُوَيصِرة للرسول ﷺ: اعدِل، فإنك لم تعدل، فقال الرسول ﷺ: «ويلك، ومَن يعدل إذا لم أعدل» فلما ذهب الرجل قال: «يخرجُ من ضِئْضِئِ هٰذا قومٌ تَحقِرون صلاتكم

. . . .

إلى صلاتهم، وعبادَتكم إلى عبادتهم، يَمرُقُون من الدِّين كما يَمرُقُ السَّهمُ من الرميَّة، فأينما لَقِيتُموهم فاقتُلوهم»[١]، وفي رواية: «لئن أدركتُهم لأقتُلَنَّهم قَتْلَ عادٍ»[٢]، عادٌ: الأمة المعروفة وهم قوم هود، وقد قتلهم الله شرَّ قِتْلة، بأن سلَّط عليهم الرِّيحَ العقيم ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ﴾ [القمر: ٢٠]، تنزِعُ الناس: أي: تحمل الناس إلى عنان السماء، ثم تنكسهم على رؤوسهم، فتندقُّ أعناقهم، ولكِبَرِ أجسامهم كأنهم أعجاز نخل، أي جذوع النخل المجتث لأن لهم أجساداً كبيرة طويلة.

فالخوارج أمر النبي ﷺ بإيقاع العقوبة الرادعة عليهم كعقوبة قوم عاد، لشرِّهم وفسادهم، ونشرهم الشرَّ بسبب مذهبهم وخروجهم، فهم فئة ضالَّة وفيها خطرٌ على الأُمة، وليس الخطر على وُلاة الأمور فقط، بل على الأمة عموماً، ولذلك يجب على وليِّ أمر المسلمين وعلى المسلمين معه

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٧)، ومسلم (١٠٦٦) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وفيه أنه ﷺ نَهَى عن قَتْل أُمراءِ الجَوْر ما صَلَّوْا.

[٤٥]

أن يقتلوهم، كفّاً لشرهم، ولذلك قاتلهم أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وقتل منهم مَقْتَلةً عظيمةً في النَّهروان، نصره الله عليهم، وخفض شوكتهم، وما زال ولاةُ الأمور والمسلمون يقاتلونهم كلَّما خرج منهم طائفة، وفي الحديث: «كلما ظهر منهم قرنٌ قُطِعَ»[١] والحمد لله، فهم فئة خطيرة على المسلمين، مذهبهم أنهم يرون خَلْعَ السمع والطاعة، والخروجَ على وليِّ الأمر بالسلاح، وتكفير ولي الأمر وتكفير المسلمين، ويستحلُّون دماءهم، وفي الحديث: «أنهم يَقتُلون أهلَ الإسلام، ويَدَعُونَ أهلَ الأوثان»[٢]، هٰذا تاريخُ الخوارج، لم يُذكر أنهم قاتلوا الكفار أبداً، وإنما يقتلون المسلمين ويستحلّون دماءهم وأموالهم، نسأل الله العافية.

[٤٥] قوله: (وفيه) أي: في الصحيح، وهٰذا في «صحيح مسلم»[٣]: أن النبي ﷺ نهى عن قتل أُمراء الجَوْر؛ يعني:

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٧٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) انظر «صحيح مسلم» (١٨٥٥).

. . . .

الأمراء العصاة، الذين يجورون في الحكم ويظلمون الناس، ولو كانوا فُسّاقاً فإنها لا تنخلع طاعتهم، وفسقهم ضررُه عليهم، وأما فعل الخروج فضرره على المسلمين، وهٰذا من ارتكاب أخفِّ المفسدتين لدفع أعلاهما، لا شكَّ أن المعصية ضررٌ ولكن الخروج على ولي الأمر من أجلها وشق عصا الطاعة فيه ضررٌ أكثر، وفي قوله: «ما صَلَّوْا» هٰذا دليل على مكانة الصلاة في الإسلام، وأن من ترك الصلاة فقد كفر، بخلاف الذين يقولون: الدين ليس هو الصلاة، وأن الإنسان مسلم ولو لم يصلِّ، فالرسول ﷺ منع من القتل، ومنع من الخروج على ولي الأمر ما دام يصلي، وإن كان عنده مخالفات ومعاص دون الكفر فإنه يُصبَرُ عليه لما في ذٰلك من المصلحة العظيمة التي تربو على مفسدة معصيته في نفسه، فإن معصيته ضررها قاصر عليه هو، أما شقُّ عصا الطاعة والخروجُ فضرره على الإسلام والمسلمين.

والحديث أصله أن النبي ﷺ قال: «خيارُ أئمتكم الذين تحبُّونهم ويُحبُّونكم، وتُصلّون عليهم، ويُصلُّون عليكم، وشرارُ أئمتكم الذين تُبغِضُونهم ويُبغِضُونكم، وتَلعَنُونهم

وعن جَرير بن عبدِ الله رضي الله عنه: أن رجلاً تصدَّق بصدقةٍ، ثم تَتابعَ الناسُ فقال ﷺ: «مَن سَنَّ في الإسلام سُنَّةً حَسَنةً، فله أجْرُها، وأجرُ مَن عَمِلَ بها من بَعدِه، من غير أن يَنقُصَ من أُجورِهم شيءٌ، ومَن سَنَّ في الإسلامِ سُنّةً سيّئةً، كان عليه وِزرُها ووِزْرُ مَن عَمِلَ بها من غير أن يَنقُصَ من أوزارِهم شيءٌ». رواه مسلم[١]. [٤٦]

ويَلعَنُونكم»، قيل: يا رسول الله، ألا نُنابِذُهم، قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة»[٢].

[٤٦] سبب هٰذا الحديث أنه جاء قومٌ من مُضَر إلى النبي ﷺ بَدَا عليهم الفقرُ والحاجة، وملابسهم رثة، فَرَقَّ النبيُّ ﷺ لهم، لأنه كان عليه الصلاة والسلام نبيَّ الرحمة، فلما رأى حالهم وبؤسهم وفقرهم رقَّ لهم ﷺ، فنادى بالصلاة، ثم اجتمع الناسُ، ثم خَطَبَ ﷺ وحثّ على الصدقة، ورغَّب فيها، فجعل الناس يتصدقون، هٰذا يتصدق بالقبضة من الطعام، وهٰذا يتصدق بكذا وكذا، حتى جاء رجلٌ معه صُرَّة

---

(١) برقم (١٠١٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٥) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

. . . .

من الذهب، كادت يده أن تَعجِزَ عنها ووضعها بين يدي الرسول ﷺ، فتهلَّلَ وجه الرسول ﷺ وسُرَّ بذلك سروراً عظيماً، وتتابع الناسُ لما رأوا هٰذا الرجل فنشطوا على الصدقة، وتتابعوا عليها، حتى اجتمع شيءٌ كثيرٌ من الصدقات عند الرسول ﷺ، فقال: «مَن سنَّ في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها» لأن هٰذا الرجل سنّ سنة حسنة واقتدى به الناس وتصدقوا.

ومعنى «سَنَّ في الإسلام سُنّةً حسنة» يعني: أَحيا سنةً، لأن الصدقة سُنَّة، فهٰذا الرجل أحياها، وأتى بمالٍ كثير، فتشجَّع الناسُ وتتابعوا للصدقة فكان هو السبب في هٰذا، فله أجرُها وأجر من عمل بها، وهٰذا عامٌّ، وأما سبب الحديث فهو هٰذه القصة، لكن العِبْرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهٰذا الحديث عامٌّ في كل من فعل خيراً واقتدى به الناسُ في ذٰلك الخير، أيّاً كان هٰذا الخير إذا اقتدى الناس به فيه، أصبح قُدْوةً حسنة، فله أجرُ عمله، وأجر من اقتدى به.

«ومن سنَّ في الإسلام سنةً سيئة» هٰذه هي البِدْعة، أي: أحدثَ بدعةً ليس لها أصل «فعليه وِزرُها ووزرُ من عمل بها، لا ينقص ذٰلك من أوزارهم شيء»، فهٰذا فيه التحذيرُ من

وله من حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه ولفظُه : «مَن دَعَا إلى هُدًى» ثم قال : «مَن دَعَا إلى ضَلاَلةٍ»[١] . [٤٧]

البدع، وفيه الحث على إحياء السُّنن، لأن الرسول ﷺ أثنى على هٰذا الذي أحيا هٰذه السنة، وفيه التحذير من إحياء البدع، وإحداث البدع، وأن شرها لا يقتصر على من فعلها، بل يذهب قسطٌ منه إلى من أحدث هٰذه البدعة، طال الزمنُ أم قَصُر، فهٰذا فيه التحذير من البدع، وأنها سنن سيئة، والمراد بالسنة في اللغة: الطريقة.

[٤٧] في هٰذا الحديث أن: «مَن دعا إلى هُدى كان له من الأجر مثل أُجور من تبعه لا ينقصُ من أجورِهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثلُ آثام من تبعه، لا ينقص من آثامِهم شيئاً»، هٰذا فيه فضلُ الدعوة إلى الله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن الأجر لمن فعل ذٰلك، أنه يحصل له أجره، ويحصل له مثل أجور من اقتَدَوْا به، وساروا على منهجه إلى يوم القيامة، فالله جل وعلا يقول: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣] فالدعوة إلى الله فضلُها عظيم،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٤).

. . . .

وخيرها كثير، وهي سُنَّة الرسول ﷺ ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨] أما الذي يدعو إلى الضلال والبدع والمُحدَثات كالذي يدعو إلى عبادة القبور والأضرحة فإنه يدعو إلى ما يخالف الدِّين، مثلما هو حاصلٌ الآن من الترغيب في البدع والمعاصي والمخالفات، فمن فعل ذلك فعليه إثمُه، وإثمُ من اقتدى به وسَلَك منهجه إلى يوم القيامة.

وهٰذا فيه التحذيرُ من دعاة الضلال، ويدخل في هٰذا الدعاةُ إلى البِدْعة، لأن البدعة ضلالةٌ كما قال النبي ﷺ: «فإن كلَّ مُحدَثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[1].

فالذي يدعو إلى البِدَع يدعو إلى الضَّلال، ويكون عليه إثمُه، وإثمُ من اقتدى به.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

باب ما جاء أن الله احتَجَز التوبة عن صاحبِ البِدعة [٤٨]

هٰذا مرويٌّ من حديث أنس ومن مراسيل الحسن.

[٤٩]

---

[٤٨] هٰذا في بيان الوجوه التي تكون فيها البدعةُ شرّاً من الكبيرة، فمن الوجوه: أن صاحبها لا يُوفَّق للتوبة، ويُصرُّ على بدعته، هٰذا هو الغالب، لأنه يَرَى أنه على حق، وأنه مصيبٌ، وأن ما عمله من الدِّين، وأنه خيرٌ، فلا يُفكِّر أن يترك البدعة، بخلاف العاصي فإنه يعرف أنه مخطئٌ وأنه مخالف، ويخاف من الله ويتوقع العقوبة، فلذٰلك سرعانَ ما يتوب العاصي ويخجل، بخلاف المبتدع فإنه لا تظهر عليه الندامة، ولٰكنه مسرورٌ ببدعته، ويدعو إليها، فهٰذا من مساوئ البدع: أن صاحبها يقعُ فيها، ويدعو إليها، ومن مساوئ البدع: أن صاحبها لا يوفَّق للتوبة بخلاف مرتكب الكبيرة فإنه كثيراً ما يوفق للتوبة.

[٤٩] يعني هٰذا الأثر: «إن الله احتجز التوبة عن صاحب البدعة» هٰذا مرويٌّ عن الرسول ﷺ مرفوعاً[١]، ومرسلاً عن الحسن.

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٢٣٨).

وذكر ابن وَضَّاحٍ عن أيوبَ قال: كان عندنا رجلٌ يَرَى رأياً فتركه، فأتيتُ محمدَ بنَ سِيرين، فقلت: أَشَعرتَ أن فلاناً تركَ رأيَه؟ قال: انظر إلى ماذا يَتحوَّلُ، إن آخر الحديثِ أشدُّ عليهم من أولِهِ: «يَمرُقُونَ منَ الإسلامِ ثم لا يَعودُون إليه»[1]. [٥٠]

---

[٥٠] هٰذا رجلٌ كان على بدعة الخوارج فتركها، فسُرَّ الذي رآه وفرح، وذهب لمحمد بن سِيرينَ وهو من أئمة التابعين رحمه الله، وبَشَّره أن فلاناً تحول عن رأيه، فما سُرَّ ابنُ سيرين بذٰلك، بل قال له: انظر إلى ماذا يتحوَّل، لأنه ليس بتاركِ البدعةَ إلى السنة، ولكن إلى بدعةٍ ثانية، هٰذا من فقهه ـ رحمه الله ـ لماذا؟ لأن الرسول ﷺ قال: «يمرقونَ من الدِّين، ثم لا يَعودُون إليه» فابن سيرين لم يتوقع منه التوبةَ من البدعة، ولكن توقع منه أن يخرج من بدعته إلى بدعةٍ شرٍّ منها، لقوله ﷺ: «يمرُقون من الدِّين، ثم لا يَعودُون إليه»، وهٰذا هو الغالبُ عليه، وهٰذا مشاهد في خوارج اليوم لو تنذرهم ليلاً ونهاراً، وتحذِّرهم وتنذرهم ما تحوّلوا عن بدعتهم أبداً، هٰذا

---

(١) أخرجه الحديث بنحوه البخاري (٧٥٦٢) من حديث أبي سعيد الخدري، ومسلم (١٠٦٧) من حديث أبي ذر.

وسُئل أحمدُ بن حَنبلٍ عن معنى ذٰلك فقال: لا يُوَفَّقُ للتوبةِ. [٥١]

شيء مُشاهَد، لأنهم يرون أنهم على حق، وعلى صواب، ويُزيِّن لهم الشيطان هٰذا، فلا يَرَوْنَ أنهم إلا على حق، فالإنسان إذا لم يعترف بالخطأ، فإنه يُبتلَى بما هو أشد، وهٰذا شأن المبتدعة، وهٰذا من فقه الإمام محمد بن سيرين ـ رحمه الله ـ أنه لا يتوقع أن الخارجي يتوب من البدعة، لٰكن توقع منه أن يذهب إلى بدعةٍ أشد، وذٰلك أخذاً من قول الرسول ﷺ: «يمرقون من الدين، ثم لا يعودون إليه»، فالرسول لا ينطق عن الهوى، ولا بد أن يقع ما أخبر به ﷺ.

[٥١] سُئل عن قوله ﷺ: «يمرقون من الدِّين، ثم لا يعودون إليه» يعني: لا يُوفَّقون للتوبة، لأن التوبة هي الرجوع، يقال: تاب: إذا رَجَعَ، تاب أو أناب: إذا رجع عن خطئه، فهم لا يتوبون.

* * *

باب

قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٥-٦٧]. [٥٢]

---

[٥٢] أهل الكتاب هم اليهود والنصارى، لما دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام وقال: إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السماوات والأرض، قالوا: لا، نتبعك نحن على دين إبراهيم، فالله جلّ وعلا ردَّ عليهم وقال: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨] ثم قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران: ٦٥] يعني: أن كلاًّ منكم يدَّعي أن إبراهيم على دينه، فاليهود يقولون: إن إبراهيم كان يهودياً، والنصارى تقول: إن إبراهيم كان نصرانياً، يا سبحان الله! التوراة والإنجيل متى أُنزلت، لم تنزل إلا بعد إبراهيم بمدة طويلة، فكيف يكون إبراهيم يهودياً أو نصرانياً، هٰذا يكذبه الواقع ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا

. . . .

تَعۡقِلُونَ﴾ هٰذا لا يقوله عاقل: أن المتقدم يتبع المتأخر، بل العكس هو الصحيح: المتأخر يتبع المتقدم، فليس إبراهيم بيهودي، لأن التوراة ما أنزلت إلا بعده، ولا بنصراني، فالإنجيل نزل بعده على عيسى عليه السلام، فهٰذا من العبث بالعقول، والتضليل المكشوف.

﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا﴾ أي: مُخلِصاً لله عز وجل في العبادة ﴿مُّسۡلِمٗا﴾ يعني: موحِّداً، فالإسلام هو التوحيد وهو دينُ جميع الأنبياء، وهو إفرادُ الله جل وعلا بالعبادة، وإن اختلفت شرائعهم، فكل شريعة كانت لحاجة تلك الأُمَّة، حسبَ مصلحتها، فالإسلام هو: عبادة الله وحده لا شريك له، بما شرعه في كل وقت بحَسَبِه، فالذين آمنوا بالتوراة وعملوا بها في وقت العمل بها كانوا مسلمين، والذين آمنوا بالإنجيل وعملوا به في وقت العمل به كانوا مسلمين، والذين آمنوا بالقرآن وعملوا به في وقته هم مسلمون لأن الجميع موحِّدون، فالتوحيد هو دين جميع الرسل، والإسلام هو دين جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام.

وقوله: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠]. [٥٣]

---

[٥٣] قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ يعني: من يتركها، فالرغبةُ عن الشيء: تركُه، أما الرغبة في الشيء فإنها طَلَبُه.

وملة إبراهيم هي التوحيد والإخلاص لله عز وجل ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾.

والسفه هو: الخِفَّة في العقل، فهو سفيه في نفسه وهو يزعم أنه عاقل، وأنه حكيم، ومدركٌ للأمور، ولكنه في الحقيقة سفيه، فالذي يترك مِلَّة إبراهيم سفيه ﴿ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾ يعني: اخترنا إبراهيم عليه السلام ﴿ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أخلصَ دينَه لله عز وجل وترك عبادة الأوثان والأصنام، وكسَّرها وحطَّمها، وتبرّأ من أهلها، وحصل له ما حصل من الإيذاء على ذلك ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أسلم: يعني انقد لرب العالمين عز وجل ولا تنقد لغيره.

وفيه حديثُ الخَوارجِ، قد تَقدَّم. [٥٤]

وفيه أنه ﷺ قال: «إنَّ آلَ أبي فُلانٍ لَيسُوا لي بأولياءَ، إنَّما أوليائي المُتَّقُونَ»[1]. [٥٥]

---

[٥٤] أي في هذا الباب الحديث الذي في أول الباب الذي قبله: «يَمرُقون من الدِّين كما يَمرُقُ السَّهمُ من الرَّمِيَّة، ثم لا يَعُودون إليه» هٰذه بدعة الخوارج.

[٥٥] (ليسوا لي بأولياءَ) من الوَلاية: وهي المحبَّة، أما الوِلاية بالكسر: فهي المُلْك والسُّلطة، فالرسولُ ﷺ يتبرأ ممن ليس على دين التوحيد، ولو كان من أقاربه في النسب، فإنه لا يحبه، وليسوا له بأولياء، يعني لا يحبُّهم ما داموا على غير دينه ﷺ، ولكن أولياء الرسول هم المتقون، سواء كانوا من أقاربه أو من غيرهم، فسلمانُ الفارسيُّ وبلال بن رَبَاح الحَبَشي وصهيب الرُّومي، هٰؤلاء ليسوا من أقاربه، وإنما هم من الموالي، ومع هٰذا صاروا أقرب الناس إلى الرسول ﷺ وأحبَّهم إليه، لأنهم مؤمنون، بينما أبو لهب عدوٌّ له ﷺ وهو عمّه أخو أبيه، ومع هذا فقد تبرّأ منه ﷺ، فليست المسألة مسألةَ قرابة، ولا شرفَ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢١٥) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه، وفيه عندهما: «إنما وليي اللهُ وصالحُ المؤمنين».

وفيه أيضاً عن أنسٍ: أنَّ رسول الله ﷺ ذُكِرَ له أنَّ بعضَ الصحابةِ قال: أمَّا أنا فلا آكلُ اللحمَ. وقال آخَرُ: أمَّا أنا فأَقُومُ ولا أنامُ. وقال آخَرُ: أمَّا أنا فلا أَتزَوَّجُ النساء. وقال آخَرُ: أمَّا أنا فأَصومُ ولا أُفطِرُ. فقال ﷺ: «لكنَّني أَقومُ وأنامُ، وأَصومُ وأُفطِرُ، وأتزوَّجُ النِّساءَ، وآكُلُ اللحمَ، فمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتي فليس مِنِّي»[1]. [٥٦]

للقرابة من الرسول ﷺ بدون الدِّين، أما إذا كان على دين الرسول ﷺ فله شرفُ القرابة وشرفُ الدين، فيجتمع له الشرفان، أما إذا لم يكن عنده دين، فلا تنفعه صلة القرابة أبداً مع مخالفة الدِّين، ولهٰذا تبرَّأ ﷺ من آل أبي فلانٍ فقال: «ليسوا لي بأولياء» فإن أولياءَهُ المتَّقُون، من أيِّ جنسٍ كانوا. فهذا فيه البراءة من المشركين ولو كانوا من قرابة الرسول ﷺ وفي الحديث: «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»[2].

[٥٦] هذا الحديثُ في الصحيح، هٰؤلاء جماعة من الصحابة يَرغَبُون في الخير والعبادة والطاعة، فجاؤوا يسألون عن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

. . . .

عبادة الرسول ﷺ لأجل أن يَقتَدُوا به، فلما أُخبروا عن عبادته ﷺ فكأنهم تَقالُّوها، ثم قالوا: الرسول ﷺ ليس مِثلَنا، فالرسول غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، فهو ليس بحاجة إلى العبادة، فلما بلغ ذٰلك الرسولَ ﷺ غضب واشتدَّ غضبُه، وقال: «ما بالُ أقوام يقولون كذا وكذا، أمَا إني أخوفُكم لله، وأتقاكم له، وإني أصلِّي وأنامُ، وأصومُ وأُفطر، وأتزوَّجُ النساء، وآكلُ اللحمَ، فمن رَغِبَ عن سُنَّتي، فليس مني».

فهٰذا فيه التحذير من الغلوِّ في العبادة، وهو الزيادة والتشديد على النفس، فالدِّين وسطٌ، ولله الحمد، واعتدال، فلا تَشُقَّ على نفسك وتحملها ما لا تطيق، والرسول ﷺ حذَّر من الغلوّ في أحاديث كثيرة، وهي الزيادة في العبادة، بل عليك أن تَرفُق بنفسك، والإنسان إذا اقتصد في العبادة، وتوسَّط فيها، فإنه يداوم عليها، أما إذا اشتدَّ في العبادة، فإنه يَمَلُّ ويتركها، هٰذا شيء معروف، قال ﷺ: «إن المُنبَتَّ لا أرضاً قطعَ، ولا ظهراً أبقَى»[1] والإنسان بشرٌ لا يتحمل، فإذا

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» ٣/ ١٨ و١٩ من حديثي جابر بن عبد الله وعبد الله بن عمرو بن العاص.

. . . .

شدّد على نفسه لم يستطع، وفي النهاية يترك العمل، وهٰذا مشاهد معروف، فهناك أناسٌ رأيناهم يتشدّدون ثم في النهاية انحلُّوا من الدين، كان هٰؤلاء عُرِفَ عنهم التشدُّدُ والغلوُّ، وفي النهاية أصبحوا منحرفين عن الدين، هٰذه آفةُ الغلو ـ والعياذ بالله ـ أما الاعتدال والتوسط فهذه سبيل إلى الاستمرار والثبات، وهٰذه هي سنةُ الرسول ﷺ. وهٰذا فيه الحثُّ على الاقتصاد في العبادة والاقتداء بالرسول ﷺ، وترك الغلوّ والتشدّد؛ لأن هٰذا بِدْعة مخالفة لسُنَّة الرسول ﷺ.

وقوله: (مَن رَغِبَ عن سُنَّتي، فليس منِّي) هٰذا كقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ وقد تبرّأ الرسول ﷺ منه، فهٰذا فيه التحذير من بدعة الغلوّ وبدعة التشدُّد، والحث على الاعتدال والتوسط في الأمور كلّها، والدِّين وسطٌ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ﴾ [الأنعام: ١٥٣] هٰذا هو السبيل الصحيح، وهو طريقة الرسول ﷺ، فلا يتقالُّ الإنسانُ المسلم عملَ الرسول ﷺ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام هو القُدْوة ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ﴾ [الأحزاب: ٢١] فهٰذا ليس تساهلاً ولا غلوّاً، ولكنه توسط، لا إفراط ولا تفريط، ودين الله بين

فتأمَّلْ إذا كان بعضُ الصحابةِ لمَّا أرادوا التَّبَتُّلَ للعبادةِ قيلَ فيه هٰذا الكلامُ الغليظُ، فسُمِّيَ فِعلُه رُغُوباً عن السُّنة، فما ظنُّكَ بغيرِ هٰذا من البِدَع، وما ظنُّكَ بغيرِ الصحابة. [٥٧]

الغالي والجافي، الغالي المتشدِّد، والجافي المنحلّ الذي يقول: إن الدين ليس بالصلاة والعبادة، الدين بالقَلْب، ويترك الأعمال، هٰذا جافٍ، وكذٰلك الذي يتشدد في العبادات ويشقُّ على نفسه، فهو غالٍ، والدين هو الوسط والاعتدال، قال الله عز وجل: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ﴾ [هود: ١١٢] الطغيان هنا التشدد والغلو، والعياذ بالله.

[٥٧] إذا كان هٰؤلاء صحابة، والصحابة هم خير القُرون، ولمّا همُّوا بهٰذه الهَمّة، أَنكر عليهم النبي ﷺ، وغَلّظَ عليهم وهم صحابة، فكيف بغيرهم من متأخِّري القرون الذين تجاوزوا الحدودَ في الغلوِّ والتطرف، أو في التساهل والمُيُوعة، فدين الله جل وعلا وسطٌ واعتدالٌ وصراط مستقيم، ليس فيه مَشَقَّة على النفوس، وليس فيه تساهل وضياع، وإنما هو دين سَمْحٌ ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨] فالله عز وجل

. . . .

لا يريد أن يجعل عليكم من حرج، فالدين ليس فيه حرج ولا تشدّد ولا غلوّ، كما أنه ليس فيه تساهل، وإنما هو وسط بين الطرفين، هذه مِلَّةُ محمد ﷺ، الاعتدالُ دائماً وأبداً، ولا يبقى الإنسان على الدين إلا بهذه الطريقة، لأنه إذا تساهل خرج من الدين، وإذا تشدَّد خرج من الدين أيضاً، ولا يثبت إلاّ إذا كان على الوسطية والاعتدال.

❊ ❊ ❊

باب

قول الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠]. [٥٨]

---

[٥٨] باب قول الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم: ٣٠-٣٢] يأمر الله جلّ وعلا نبيَّه بهٰذه الأمور في هٰذه الآية الكريمة، والشيخ ـ رحمه الله ـ يريد بذٰلك أن يذكر ما جاء في تفسير هٰذه الآية الكريمة من الأحاديث النبوية والآثار المروية؛ يأمر الله نبيَّه محمداً ﷺ بقوله: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ ﴾ أي: أخلِصْ عملَكَ؛ فإقامة الوجه وإسلام الوجه معناه: إخلاص العمل، كما قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢].

. . . .

﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾، يعني: أخلَصَ عملَه من الشِّرك ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: متَّبع للرسول ﷺ، وأخلَصَ عملَهُ أيضاً من البِدَع والمحدثات؛ فإذا اجتمع هٰذان الشرطان: الإخلاص لله بالنية، والاتباع للرسول ﷺ في العمل، انتفى عن العمل الشركُ، وانتفى عنه الابتداع في الدِّين، هٰذا هو الذي يقبله الله عز وجل ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ الدِّين الذي أمَرَك الله به، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، والدِّين هو التوحيد، وهو العمل وهو الصلاة والصيام، وجميع ما شرعه الله من العبادات، فهٰذا هو الدين. ﴿ٱلْقَيِّمُ﴾ هٰذا وصفٌ للدين، أي: المعتدل، الذي ليس فيه غلوّ، وليس فيه تساهُل، بل هو دين قيِّم معتدل بين طرفي الإفراط والتفريط كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣] مستقيماً، يعني: معتدلاً بين الإفراط والتفريط، وبين الغلوّ والجفاء، هٰذا هو الدين الذي بعث الله به رُسُله، وخاتمهم محمد ﷺ.

فقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ والحنيف معناه: المقبل على الله، المعرض عمّا سواه، وفي الآية الأخرى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ [الروم: ٤٣]. والحنيف والقيِّم معناهما واحد، وهو المقبل على الله، المعرض عمّا سواه فلا يدعوه مع الله، ثم قال جل وعلا: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ

. . . .

ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾ أي: أن هٰذا الدين، وهٰذا الإسلام هو الفطرة التي خلق الله الناس عليها، فالفطرة هي دين الإسلام، كما قال عليه الصلاة والسلام: «كل مولودٍ يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه»[1] فالأصل في الإنسان أنه مسلم، وأنه مفطورٌ على الإسلام، وهو إخلاص الدين لله عز وجل، هٰذا هو الأصل فيه، فإذا انحرف، فالانحراف طارئ عليه بسبب التربية السيئة التي يربيه عليها والداه.

يهوِّدانه: يجعلانه يهوديّاً، أو ينصِّرانه: يجعلانه نصرانياً، أو يمجِّسانه: يجعلانه مجوسيّاً، فوالداه يغيران فطرته التي فطره الله عليها، ويدل هٰذا على أن الإنسان مفطورٌ على الإسلام في الأصل. وهو إخلاص العمل والعبودية لله عز وجل، ولو سلم من التربية السيئة والوالديْن الكافريْن لاتّجه إلى دين الإسلام واتبع الرُّسُلَ، ولكنه ينحرف بسبب الدعاة إلى الضلال.

ثم قال: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾ لا أحد يخلق إنساناً على الشرك أبداً، ولا يستطيع أحد أن يخلق إنساناً على الشرك، بل

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

. . . .

الله خلقه على التوحيد، ولا أحد يستطيع أن يغيِّر هٰذا الخلق، وإنما يغيِّر المخلوق، ليس هناك إنسان يخلق إلاّ على دين الإسلام، ولهٰذا جاء في الحديث: «فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء»[١] أي: كالشاة التي تولد، تولد كاملة الخلقة، سليمة الأطراف سليمة من العيوب، لها أذنان، ثم أهلها يجدعونها، يعني: يشقون أذنها، فلا توجد شاة تولد مشقوقة الأذن، بل تخلق كاملة الخلقة، ثم أهلها يجدعونها أي يشقون أذنيها، يغيّرونها بعد الخلق، يغيرون المخلوق، ولا يغيرون الخلق أبداً، فخلق الله لا يتغيّر، فالشاة تولد كاملة بآذانها وقرونها وأظلافها وأطرافها، فإن حصل لها عرجٌ أو جدعٌ في قرنها أو أذنها، فإن هٰذا من تصرف الإنسان، هكذا ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ التبديل إنما هو للمخلوق، وأما الخلق خاص بالله عز وجل، لا أحد يتدخل في ذلك.

﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ ذٰلك الذي أوحاه الله إليك، وهو إفراد الله جل وعلا بالعبادة، وترك عبادة ما سواه ﴿ ٱلدِّينُ

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢]. [٥٩]

ٱلْقَيِّمُ ﴾ أي: المستقيم المعتدل الذي لا اعوجاج فيه، لا غُلوّ ولا جفاء، لا إفراط ولا تفريط ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يجهلون هٰذا الدين، ولذلك يقعون فيما يقعون فيه من الضلال والانحراف، وإلا فالدين قيِّم مستقيم، وإن حصل انحراف فهو من تصرّف الناس ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ انظر إلى قوله: ﴿أَكْثَرَ﴾ فهو يفيد أنه لا يحتج بالكثرة إذا كانت على ضلال وعلى خطأ، وإنما يحتج بمن كان على الحق ولو كان قليلاً، ولا يحتج بمن كان على الباطل ولو كان عددهم كثيراً ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لا يعلمون الدين القيم، ولذلك وقعوا فيما وقعوا فيه من الإخلال بهٰذا الدين والانحراف عنه.

[٥٩] ووصّى بها أي بكلمة التوحيد إبراهيم عليه السلام بنيه إسماعيل وإسحاق، ويعقوب ـ وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الذي هو إسرائيل ـ وصّى بها بنيه أيضاً، وصّاهم بكلمة التوحيد، كلمة الإخلاص لله عز وجل. والتوصية معناها أن الموصي عند موته يوصي ذريته أو من حوله بتقوى

. . . .

الله عز وجل، والوصية عند الفقهاء: الإذن بالتصرف بعد الموت، هٰذه الوصية، وتكون بالأموال، وتكون في الدين، وذلك بالحث على التمسك بالدين، فإبراهيم ويعقوب، إبراهيم الذي هو أبو الأنبياء، ويعقوب الذي هو أبو بني إسرائيل، كلاهما أوصى ذريّته بكلمة التوحيد، والإخلاص لله عز وجل والدين الحق، وهٰكذا يجب على الوالد أن يربّي أولاده على طاعة الله، وأن يوصيهم ـ إذا حضره الموت ـ بالثبات على الدين، والبقاء على التوحيد، وهٰذا من حرص الأبوين الكريمين إبراهيم ويعقوب على ذريتهما.

﴿ يَٰبَنِيَّ﴾ هٰذا نداء ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ أي: اختار التوحيد لكم، لأنهم أولاد الأنبياء، ومن ذرية الأنبياء، فهم أولى أن يتمسكوا بهٰذا الدين، وأن يكونوا قدوةً للناس ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ هٰذه وصية بالتمسك بالدين إلى الممات، وذٰلك بالعمل به، والثبات عليه، والحذر مما يخالفه من البدع والشرك والدعوة إلى الضلال، فما دام الإنسان على قيد الحياة فإنه عُرضة للانحراف، واتباع دعاة الضلال إن لم يثبته الله عز وجل، وهٰذا فيه دليل على أن العبرة بالخاتمة ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ مسلمون لله

. . . .

بالتوحيد. فالإسلام، يُراد به التوحيد، وهو دين جميع الرسل، وكل الرسل جاؤوا بالتوحيد، وهو إسلام الوجه لله عز وجل والإخلاص، والابتعاد عن الشرك ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ هٰذا حث على الثبات على هٰذا الدين، وعدم الالتفات إلى ما خالفه، وفيه أن العبرة بالخواتيم، وأن الإنسان بحسب ما يختم له من خيرٍ أو شرٍّ، وفي الحديث الصحيح: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها»[١]. العبرة بالخاتمة التي يموت الإنسان عليها، ولكن على الإنسان أن يعمل أعمالاً تكون سبباً لحسن الخاتمة، ويبتعد عن الأعمال التي تكون سبباً لسوء الخاتمة، والأعمال كثيرة، والإنسان ما دام على قيد الحياة فهو معرض للانحراف والفتنة، وقد ينحرف ويموت على غير الإسلام. هٰذا الحديث فيه الحث على دين الإسلام والثبات عليه، وسؤال الله عز وجل حسن الختام.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]. [٦٠]

---

[٦٠] ذكر الله جل وعلا: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢١] قوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ يعني قدوة ﴿ قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ القنوت: المراد به المداومة على طاعة الله، أي: مداوماً على طاعة الله ﴿ حَنِيفًا﴾ يعني: مقبلاً على الله في عبادته، معرضاً عن عبادة ما سواه ﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ كان بريئاً من المشركين، أي: تبرّأ منهم، كما تبرّأ من أبيه وقومه ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ﴾ شاكراً لأنعم ربّه عز وجل لأن الله ذكر في هٰذه السورة «سورة النحل» النعم، وعدّدها، ولذٰلك تسمى سورة النحل بسورة النِّعم، لأن الله عدّد فيها النعم ليشكرها العباد، وذكر عن إبراهيم عليه السلام أنه كان شاكراً لأنعم الله عز وجل، وشكر النعمة هو التحدث فيها ظاهراً، والاعتراف بها باطناً، وصرفها في طاعة مُسْديها ومُوليها.

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ هٰذا خطاب لنبينا محمد ﷺ ﴿ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ﴾ ولما وصف الله إبراهيم بهٰذه الصفات العظيمة التي ذكرت، أمر نبيه محمداً ﷺ، أن يتبع ملته،

وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ لكل نبيٍّ وُلاةً من النبيِّين، وإن وَليِّيَ أَبي إبراهيمُ وخليلُ ربِّي» ثم قرأ: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٨] رواه الترمذيُّ(١). [٦١]

أي: دينه، ودين محمد ﷺ هو دين إبراهيم، وهو دين الحنيفية السمحة، دين التوحيد والعبادة والإخلاص لله عز وجل.

[٦١] فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام يتولى بعضهم بعضاً بالمحبة والاقتداء والاتباع فهم سلسلة واحدة من أولهم إلى آخرهم، يبشِّر أولهم بآخرهم، ويقتدي آخرهم بأولهم، ويتبع بعضهم بعضاً، هٰكذا هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ونبيّنا محمد ﷺ هو أولى الناس بإبراهيم، وهٰذا ردّ على اليهود والنصارى، فاليهود يقولون: كان إبراهيم يهودياً، والنصارى يقولون: كان إبراهيم نصرانياً، والله ردّ عليهم فقال: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ ﴾ وأنتم أيها النصارى لم تتبعوه، فأنتم بعيدون عنه، فالنصارى يعبدون

---

(١) برقم (٢٩٩٥).

. . . .

الصليب، واليهود يعبدون عُزيراً، ويقولون: عُزير ابن الله، ويعبدون العجل كما ذكر الله تعالى عنهم، ويعبدون شهواتهم هٰكذا هو دين اليهود، فإبراهيم بريء منهم، بريء من اليهود والنصارى وهم لم يتبعوا إبراهيم عليه السلام، فهم بعيدون عنه، إنما أقرب الناس إلى إبراهيم ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ من اليهود والنصارى لا الذين خالفوه ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ وهو محمد ﷺ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فالله وليهم ينصرهم ويؤيدهم ويحبهم ويتولاهم، فهو ولي المؤمنين خاصة، ولاية نصرٍ وتأييدٍ وحفظٍ وإعانة، وهناك ولاية عامة لجميع الخلق، قال تعالى: ﴿وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٠] يعني ربّهم ومالكهم، والمتصرف فيهم، هٰذه ولاية عامة، لجميع الخلق، بمعنى الملك والتدبير والرزق، أما الولاية الخاصة، فهي للمؤمنين الذين اتبعوا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأولاهم بذٰلك هٰذا النبي محمد ﷺ وأمته، فهٰذا فيه ردّ على اليهود والنصارى الذين يزعمون أنهم على دين إبراهيم وهم كذبة، ليسوا على دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام وإنما هم على الشرك، ودين الانحراف والتغيير والتبديل.

هٰذا فيه دليل على أنه لا يكون وليّاً للنبي ﷺ إلا من اتبعه، ليس هناك وليٌّ للنبي ﷺ ولا لإبراهيم إلا من اتبعهما،

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله لا يَنظُرُ إلى صُورِكم وأموالِكم، ولكن يَنظُرُ إلى قُلوبِكم وأعمالِكم»[1]. [٦٢]

والذين يزعمون أنهم يحبون محمداً ﷺ وهم يخالفونه، ويحدثون البدع والمحدثات، ويزعمون أنهم يحبون النبي ﷺ، هٰذا كذب، لو كانوا يحبون النبي ﷺ لاتبعوه وتركوا البدع والمحدثات والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان، فالذي يحب النبي ﷺ حقيقة هو الذي يتبعه، وهم الذين ﴿ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] العبرة بالاتباع وليست بالدّعوى! والدعوى إذا لم يكن عليها دليل فهي باطلة.

[٦٢] هٰذا فيه أن العبرة ليست بالمظاهر وصور الأجسام وجمالها، ولا في كثرة الأموال والثروات والغنى، وإنما النظر إلى شيئين هما: القلوب والأعمال، فإذا كانت القلوب صحيحة سليمة مخلصة لله عز وجل، وكانت الأعمال مستقيمة على شرع الله ودينه، فهٰذا الذي ينظرُ اللهُ إليه ويتقبَّلُه ويثيب عليه، أما مجرد جمال الصورة وكثرة الثروة، فهٰذا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) (٣٤).

ولهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا فَرَطُكم على الحوضِ، وليُرفَعنَّ إليّ رجالٌ منكم، حتى إذا أهويتُ لأُناوِلهم اختُلِجُوا دُوني، فأقول: أي ربِّ، أصحابي، يقول: لا تدري ما أَحدَثُوا بَعدَكَ»(١). [٦٣]

ليس عند الله له اعتبار قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [سبأ: ٣٧] فهٰؤلاء هم الذين ينظرُ الله إليهم نظر اعتبارٍ وقبولٍ ورحمةٍ.

[٦٣] في هٰذا الحديث يقول ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض» الفَرَط: هو الذي يسبق إلى الماء ليسقي قومه، فالنبي ﷺ يوم القيامة يكون على حوض، طوله مسافة شهر، وعرضه مسافة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وآنيته عدد نجوم السماء، من يشرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً(٢)، تَرِد الأمة يوم القيامة على حوض النبي ﷺ وهم عطاش من شدة الحرّ وطول المُقام، وهم بحاجة إلى الماء، فيسقيهم ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٤٩)، ومسلم (٢٢٩٧).

(٢) انظر أحاديث صفة الحوض في «جامع الأصول» لابن الأثير ١٠/ ٤٦١-٤٦٧، الأحاديث (٧٩٨٤-٧٩٩٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «وَدِدتُ أنّا قد رأينا إخوانَنا» قالوا: أَوَلسنا إخوانَك يا رسول الله؟ قال: «أنتم أصحابي وإخوانُنا الذين لم يأتوا بعدُ» قالوا: فكيف تعرفُ من لم يأتِ بعدُ من

بيده إلاّ من كان قد غيّر دينه، فإنه يُصرف عن الحوض، فيقول النبي ﷺ: «أي ربِّ أصحابي»، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، يعني: ما غيّروا، فهٰذا فيه دليلٌ على أن من ابتدع في دين الله وغيّر، فإنه لا يرد الحوض على النبي ﷺ، ولا يرده إلاّ أهل التوحيد والاتباع، أهل التوحيد لله عز وجل، والاتباع للرسول ﷺ، الذين لم يبدّلوا ولم يغيّروا، بل كانوا كما تركهم ﷺ على البيضاء، ليلها كنهارها، هٰؤلاء هم الذين يردون الحوض، ويشربون منه، يسقيهم رسول الله ﷺ منه. وأما من غيّر وبدَّل فإنه وإن انتسب إلى الإسلام، وإلى اتباع الرسول ﷺ، فإنه في هٰذا الموقف يُصرف عن الحوض، فهٰذا فيه التحذير من البدع والانحراف والتغيير في دين الله والضلال، وفيه الحث على التمسك بالدين الصحيح، والثبات عليه والصبر عليه إلى الموت، حتى يَرِد على النبي ﷺ، وحتى يشرب من حوضه. والاختلاج: الأخذ بسرعة والمنع والطرد، يطردون عن الورود.

أُمتك يا رسول الله؟ قال: «أرأيتَ لو أن رجلاً له خيل غُرٌّ مُحَجَّلَة، بين ظَهرَيْ خيلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ، ألا يَعرِفُ خيلَه؟» قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: «فإنهم يأتُون غُرّاً محجَّلين من الوُضُوء، وأنا فَرَطُهم على الحوض، ألا ليُذادَنَّ رجالٌ عن حَوْضي كما يُذادُ البعير الضّالُّ، فأناديهم: ألا هَلُمَّ، فيقال: إنهم قد بدَّلوا بعدَك، فأقول: سُحْقاً سُحْقاً»[1]. [٦٤]

---

[٦٤] هٰذا مثل الحديث الذي قبله في أن أمة محمد ﷺ هم الذين لم يبدلوا ولم يغيّروا، يأتون ولهم سمات وعلامات بارزة، يعرفهم بها رسول الله ﷺ من بين الخلائق، وهي آثار الوضوء، وهٰذا من فضل الوضوء للصلاة، وفضل الطهارة، وأن آثاره تبقى نوراً يتلألأ يوم القيامة، على أطراف المسلمين، يعرفهم النبي ﷺ من بين الخلق، فهٰذا فيه فضل الوضوء، وفيه علامة هٰذه الأمة يوم القيامة من بين الأمم، وفيه أن أناساً يذادون عن الحوض، يأتون مع الورّاد إلى الحوض بصفة أنهم يدّعون الإسلام، لكنهم يُمنعون ويذادون كما يُذاد البعير الضال، يمنعون من الوصول إلى الحوض، فيسأل

---

(١) أخرجه مسلم (٣٤٩).

. . . .

النبي ﷺ: لماذا؟ فيقال: إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك! فيقول ﷺ: «سحقاً سحقاً» لمن بدَّل وغيّر، أو كما قال ﷺ، هٰذا مثل الحديث الأول إلاّ أن فيه زيادة أن النبي ﷺ يعرف أمته بسيما الغرّة والتحجيل من آثار الوضوء.

وأول الحديث فيه أن النبي ﷺ، قال: «وددت أنا قد رأينا إخواننا» يتمنى ﷺ أن يرى إخوانه من المؤمنين الذين يأتون من بعده، قال الصحابة رضوان الله عليهم: أوَلسنا إخوانك؟ قال: «أنتم أصحابي» هٰذه خاصة في الذين صحبوا النبي ﷺ، الذين لقوا النبي ﷺ وآمنوا به، هؤلاء يقال لهم: الصحابة، ولهم فضل عظيم، وهم خير القرون، والإخوان هم الذين يأتون في آخر الزمان، ويتبعون هٰذا الرسول ﷺ مع ما بينهما من طول الزمان، فهٰذا فيه الفضل العظيم في آخر هٰذه الأمة التي تتمسك بدين الرسول ﷺ وهي لم تره، الصحابة رأوا النبي ﷺ، وجالسوه وجاهدوا معه، لكن يأتي أناس لم يروا النبي ﷺ، ولكنهم يؤمنون به، وهم لم يروه، يؤمنون به بموجب كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، يصدقون به، وهٰذه فضيلة عظيمة، فالصحابة لهم فضل الصحبة، وهؤلاء لهم فضل التمسك والاتباع وهم لم يروا النبي ﷺ، كلٌّ له فضيلة خاصة به.

وللبخاري: «بينا أنا قائمٌ إذا زُمرَةٌ، حتى إذا عَرَفتُهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم، فقال: هَلُمَّ، فقلت: أين؟ قال: إلى النار، قلت: وما شأنُهم؟ قال: إنهم ارتَدُّوا بعدَك على أدبارهم القَهْقَرَى. ثم إذا زمرةٌ. . . » فذكر مثله، قال: «فلا أُراه يَخلُصُ منهم إلا مثلُ هَمَلِ النَّعَم»(١). [٦٥]

---

[٦٥] هٰذا مثل الحديث السابق أنه ﷺ يكون في خلق كثير يوم القيامة، ثم ينادَون إلى النار من عند الرسول ﷺ، فيسأل الرسول: لماذا؟ قالوا: إنهم لا يزالون مرتدين من بعدك. هذا فيه أن من ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام فإنه سيلقى هٰذا المصير، إلا إذا تاب إلى الله قبل الموت، فهٰذا مما يؤكد على الإنسان أن يعرف نواقض الإسلام ويتجنبها، لئلا يكون مع هؤلاء الناس يوم القيامة، وهو يزعم أنه مسلم. قد يعيش الإنسان مرتداً ويزعم أنه مسلم، لماذا؟ لأنه يعيش على ناقضٍ من نواقض الإسلام، ونواقض الإسلام كثيرة، وأسباب الرّدة كثيرة، يجب العناية بمعرفتها، وسؤال الله الثبات على الدين، فلا يكفي مجرد الانتساب أو أن يكون الإنسان إمَّعة

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولهما[١] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «فأقول كما قال العبدُ الصالح: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا

مع الناس أساؤوا أو أحسنوا، بل لا بد أن يعرف الحق لأجل أن يعمل به، ويسأل الله الثبات، فهٰذا فيه أن من ارتدّ عن دين الإسلام فإنه يكون من أهل النار، ولو كان في أول أمره من هٰذه الأمة، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧] لذٰلك يجب علينا أن نعرف ما هي أنواع الردّة، وما هي نواقض الإسلام حتى نتجنبها، وأكثر الناس هملٌ لا يدرون ولا يعرفون نواقض الإسلام، ويقعون فيها وهم لا يدرون، بسبب الجهل الذي لا يعذرون به، لأنه لا يعذر في الجهل من كان يعيش بين العلماء وفي بلاد الإسلام، لأنه بإمكانه أن يسأل وأن يتعلَّم، ويحرص على التعلُّم، أما الذي لا يبالي فإنه لا يهتم بالعلم ولا بالتعلُّم، ويكتفي بمسمَّى الإسلام فقط، ويجاري الناس على ما هم عليه، ثم يوم القيامة يصبح مع الخاسرين، فهٰذا فيه الحث على معرفة نواقض الإسلام حتى يتجنبها المسلم، لئلا يكون مع هؤلاء يوم القيامة.

---

(١) البخاري (٦٥٢٦)، ومسلم (٢٨٦٠) (٥٨).

دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧-١١٨]». [٦٦]

---

[٦٦] يقول ﷺ عند ذلك، أي: عند هذا المشهد الهائل حينما يذادون إلى النار من عند الرسول ﷺ يقول كما قال العبد الصالح ـ وهو عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ـ يوم القيامة إذا قال الله له: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ [المائدة: ١١٦] هذا فيه فضح للنصارى الذين يقولون: إن المسيح ابن الله، أو ثالث ثلاثة، أو يقولون: إن المسيح هو الله، أو إن الله هو المسيح ابن مريم يقول الله له يوم القيامة: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ هذا تنزيه لله عز وجل من القول ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ﴾ لأن العبادة حق لله، ليست حقاً للمسيح ولا لأمه ولا لغيرهما من المخلوقين، العبادة حق لله جل وعلا ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ﴾ لأن هذا حق الله جل وعلا الألوهية والعبادة حق لله ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦] هذا برهان آخر على أنه عليه السلام لم يقل هذه المقالة، أنه لو قال هذا لعلمه

. . . .

الله جل وعلا، لأن الله يعلم كل شيء، فهٰذا دليل على أنه لم يقل هٰذا لهم، لأنه لو قاله لعلمه الله سبحانه وتعالى ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ ﴾ هٰذا فيه أن الرسول مبلِّغ عن الله لا يأتي بشيء من عنده، وإنما هو مبلغ عن الله ﴿ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ ﴾ فصار المسيح عبداً، وليس ربّاً كما تقوله النصارى ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ ﴾ في حياته عليه الصلاة والسلام، كان يدعوهم إلى التوحيد، وينهاهم عن الشرك لم يأمرهم بالشرك أبداً، ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ لا أحد يقول هٰذا من الأنبياء ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ هٰذا الذي يقوله النبي ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝٧٩ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ ﴾ من دون الله، ليس هناك نبي يأمر بهٰذا أبداً ﴿ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩-٨٠].

فالنبي لا يأمر بالكفر أبداً، ولا يتصوّر هٰذا أن النبي يدعو إلى الشرك وإلى الكفر ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٧] فالمسيح عليه السلام توفّي حين رُفع، والوفاة هنا هي القبض، فقبض وهو حي

ولهما عنه[1] مرفوعاً: «ما من مولودٍ إلا يُولَدُ على الفِطْرة، فأبواه يُهوِّدانِه، أو يُنصِّرانِه، أو يُمجِّسانِه، كما تُنتَجُ البهيمةُ بهيمةً جمعاءَ، هل تُحِسُّون فيها من جَدعاءَ، حتى تكونوا أنتم تَجدَعُونها» ثم قرأ أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] متفق عليه. [٦٧]

عليه الصلاة والسلام لم تفارق روحه جسده، وإنما قُبض عليه الصلاة والسلام بروحه وجسده ورفع إلى السماء ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] ثم في آخر الزمان يتوفى الوفاة الكبرى، وهي مفارقة الروح للجسد ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] هٰذا في آخر الزمان، يموت عليه الصلاة والسلام، ويدفن كما دُفن الأنبياء، في القبر، في آخر الزمان.

[٦٧] هٰذا الحديث يفسر الآية السابقة التي في أول الباب، في أن الله فطر الناس على الإسلام، أي فطرهم على التوحيد، فلو أنهم سلموا من دعاة الضلال، لبقيت فطرتهم قابلة

---

(١) أي: عن أبي هريرة، أخرجه البخاري (٤٧٧٥) و(٦٥٩٩)، ومسلم (٢٦٥٨).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كان الناسُ يسألون رسولَ الله ﷺ عن الخير، وكنت أسألُه عن الشَّرِّ مَخافَةَ أن يُدرِكَني، فقلت: يا رسول الله، إنّا كنّا في جاهليةٍ وشَرٍّ، فجاءنا الله بهٰذا الخير، فهل بعدَ هٰذا الخير من شَرٍّ؟ قال: «نعم». فقلت: وهل بعد ذٰلك الشَّرِّ من

للحق، ولاتبعوا الرسل، فالفطرة وحدها لا تكفي، لا بد من اتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام، ففطرتهم صالحة مثل التربة الطيبة الصالحة للنبات، فالتربة إذا بقيت ولم تلوث، تبقى صالحة، وإذا غيّرت وسبخت وعلتها الملوحة والماء فسدت، وصارت غير صالحة للإنبات، كذٰلك الإنسان إذا غُيِّرت فطرته فإنها لا تقبل الخير، لأنها انحرفت وتغيرت، كالتربة إذا فسدت، وضرب النبي ﷺ لذٰلك مثلاً بالشاة الجدعاء التي قطعت أُذنها وكسر قرنها، تولد جَمْعاءَ، أي: سليمة ليست مجدوعة، كاملة القرنين والأذنين، ثم إن أهلها هم الذين يجدعونها، وكذٰلك المولود يولد على الفطرة كاملاً، فإن غُيّرت الفطرة، فهٰذا من تصرف المربِّين الذين يحرفون الفطرة ويغيّرونها، مثل الذين يفسدون التربة الصالحة للبذر فلا تُنبت.

خيرٍ؟ قال: «نعم، وفيه دَخَنٌ» قلت: وما دَخَنُه؟ قال: «قوم يَسْتَنُّون بغير سُنَّتي، ويهتدون بغير هَدْيي، تَعرِفُ منهم وتُنكِر»، قلت: فهل بعد ذٰلك الخير من شَرٍّ؟ قال: «نعم، فتنةٌ عمياءُ، ودعاةٌ على أبواب جهنم، مَن أجابهم إليها، قَذَفُوه فيها» قلت: يا رسول الله، صِفْهم لنا، فقال: «هم من جِلْدَتنا، ويتكلَّمون بألسنتِنا» قلت: فما تأمرني إن أدركني ذٰلك؟ قال: «تلزمُ جماعةَ المسلمين وإمامَهُم» قلت: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال: «فاعتزِلْ تلك الفرقَ كلَّها، ولو أنْ تَعَضَّ على أصل شجرةٍ، حتى يدركَكَ الموتُ وأنت على ذٰلك» أخرجاه[1]. [٦٨]

---

[٦٨] هٰذا لا شك أنه مطلوب، أن تسأل عن الخير، وأن تتعلّم ما فيه الخير والصلاح، لكن لا تقتصر عليه بل عليك أن تعرف ضده، عليك أن تعرف الشرَّ وهو ضد الخير لئلا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧)، وقوله: «فتنة عمياء» وردت عند أحمد في «المسند» (٢٣٢٨٢)، وليست عند البخاري ومسلم.

. . . .

تقع فيه، فيجب عليك أن تتعلم الأمرين، الخير والأعمال الصالحة وكل ما يؤدي إلى الخير، من الأعمال والأقوال والعقائد وغير ذلك، ولا بد أن تعرف ما يضاد ذلك، وما يخالفه حتى يسلم لك هٰذا الخير، لأنك إذا اقتصرت على تعلّم الخير، ولم تتعلم ما يخالفه ويضاده فربما أنك تقع في أشياء تذهب بهٰذا الخير وأنت لا تدري، فمثلاً إذا تعلّمت التوحيد، وإفراد الله بالعبادة، فلا بد أن تتعلّم ما هو الشرك الذي هو ضد التوحيد، وهو عبادة غير الله. وكيف تكون عبادة غير الله، لأن الإنسان قد يعبد الله ويكثر من العبادة، ولكن لا يتجنب الشرك، خصوصاً وأن كثيراً من الناس يقعون في الشرك، وهناك دعاة إلى الشرك، فربما أنه يقع في شيء من الشرك يظنه خيراً، لأنه لُبِّس عليه، فهٰذا الشرك يبطل عمله وهو لا يدري، فلا بد أن تتعلم الخير وإلى جانبه تتعلم ما يضاده ويخالفه.

وهٰذا بخلاف ما ينادي به اليوم الكثير من الجهّال والمضلّلين والمغرضين الذين يقولون: علّموا الناس التوحيد، وعلّموهم الصلاة، وأفعال الخير، لكن لماذا تعلّمونهم نواقض الإسلام، والشرك، وتعلّمونهم عقائد الجهمية

. . . .

والمعتزلة ومن نَحا نحوَهم، لماذا لا تقتصرون على العقائد الصحيحة، وتتركون بيان العقائد الفاسدة. وهٰذا جهل أو تضليل، لأنه لا يكفي تعلُّم العقائد الصحيحة، بل لا بد أن نعرف أيضاً العقائد الفاسدة والباطلة من أجل أن نتجنبها ونجنِّبها أولادنا وإخواننا، ولذٰلك ردّ العلماء على الجهمية والمعتزلة والمخالفين، وهٰذا شيء موجود، فلو أنهم سكتوا عن أهل الضلال، ولم يردّوا عليهم، لراجت أفكارهم وشبهاتهم. لم يقل العلماءُ: نقتصر على معرفة الخير فقط، بل وعرّفوا الناس الشر من أجل أن يجتنبوه، وتجد الآن في كتب العقائد ـ خصوصاً الموسَّعة ـ بيان العقيدة الصحيحة، وبيان ما يضادها، وإيراد الشبهات التي يدلي بها أهل الشَّرِّ من أجل الردِّ عليها، لئلا يغترَّ بها من لا يعرفها، وإن كان من أهل الخير، لأن الذي يجهل الشيء يوشك أن يقع فيه، ولهٰذا يقول الشاعر:

عرفتُ الشرَّ لا للشرِّ لكن لِتوقِّيهِ
ومن لا يعرفِ الشرَّ من الخيرِ يقعْ فيهِ

فلا بد من هٰذا الأمر، وهٰذا حذيفة رضي الله عنه وهو صحابيٌّ جليل، كان يسأل النبي ﷺ عن الشَّرِّ ولم ينهه الرسول

. . . .

ﷺ، لم يقل له: اجتنب هٰذا، ولا تسأل عنه، بل أقرّه الرسول ﷺ وبيّن له عما سأله من الفتن، بيّن له ﷺ الفتن، وأنّ الدنيا دول. تارةً يأتي خير، وتارة يأتي شرٌّ، ويتعاقب هٰذا وهٰذا على الناس للابتلاء والامتحان. فلا بد أن يكون المسلمون على استعداد لمقاومة الشر لئلا يروج الشرُّ عليهم، لأن الشر له دعاة، حريصون على رواجه، ويزينونه بزخرف القول، وبالعبارات الرنّانة، ويسمونها بأسماء مغرية، فلو لم تعرفوا هٰذه الشبهات، وهٰذه الدعوات الضالة، لأوشك أن يروج هٰذا عليكم، فتقبلونه، فهٰذه هي الحكمة من أننا نتعلم الخير ونتعلم الشرَّ، يعني نتعلم ما يضاد الخير ويخالفه، حتى نسلم منه، وهٰذا حذيفة رضي الله عنه في هٰذا الحديث الصحيح، وأَقرَّه النبي ﷺ ولم يقل له: لماذا تسأل عن الشر؟ فالإنسان على خطر، لا يزكي نفسه، ولا يقول: أنا عرفت الخير ويكفي، بل لا بد أن يعرف هٰذه الأمور لخطرها، ولتكررها على الناس، والدعوة إلى الانحراف والضلال مستمرة لا تنقطع، الآن هناك من يدعو إلى مذهب الجهمية، وإلى مذهب المعتزلة، وإلى القبورية، وإلى الصوفية، وإلى غير ذٰلك من الدعوة إلى الانحراف، فلو لم نتعلم الردّ على

. . . .

هؤلاء ونعرف شبهاتهم لراجت هٰذه الأمور، ولذهبت السُّنَّة، فلا بد من المقاومة، ولا بد من معرفة المرض، ومعرفة علاجه.

فالنبي ﷺ أخبر حذيفة بما يكون، وهٰذا من علامات النبوة، حيث إنه ﷺ يخبر عن الشيء قبل وقوعه، لأن الله أطلع رسوله على ما يكون في المستقبل، من أجل أن ينبِّه الناس ويحذّر الناس من هٰذه الأمور إذا حدثت، وقد قال ﷺ: «إنه من يعش منكم، فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[١]، وقال ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذٰلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذٰلك من آثامهم شيئاً»[٢].

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢) و(٤٣)، والترمذي (٢٦٧٦)، وأحمد في «المسند» (١٤٤) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

. . . .

كل ذٰلك من أجل أن يكون الناس على معرفة وبصيرة إذا حدثت هٰذه الأمور، فيكون عندهم استعداد لمقاومتها والتحذير منها وألاّ يغترّوا بها، فحذيفة رضي الله عنه في النهاية سأل الرسول ﷺ إذا أدركه هٰذا، ماذا يفعل؟ قال له: «أن تلزم جماعة المسلمين وإمامَهم» هٰذه هي العصمة من الفتن، أي: أن تكون مع الجماعة، والنبي ﷺ يوصي بالتزام جماعة المسلمين ويقول: «يد الله على الجماعة، ومن شذَّ شذَّ في النار»[1] ويقول ﷺ: «من خالف الجماعة، فقد خلع رِبقة الإسلام من عنقه»[2]، والأحاديث في هٰذا الباب كثيرة، وقال عليه الصلاة والسلام: «إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم به، لن تضلّوا بعدي، كتاب الله وسنتي»[3]، وسيأتي في

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» ١/ ١١٥ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٥٨)، وهو من زيادات عبد الله بن أحمد في «المسند» (٢١٥٦٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» ٢٤/ ٣٣١ من حديث أبي هريرة، وحديث عمرو بن عوف المزني رضي الله عنهما. وأخرجه الحاكم في «المستدرك» ١/ ٩٣ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
والحديث أخرجه مالك في «الموطأ» ٢/ ٤٠٠ بلاغاً.

. . . .

الأحاديث حالة الغرباء في آخر الزمان، وما لهم من الأجر، فملازمة جماعة المسلمين، فيها العصمة، وأما من شذّ عن جماعة المسلمين، فهو على خطأ، وعلى شفير الهلاك، عليك أن تلزم جماعة المسلمين وإمام المسلمين، يعني بالسمع والطاعة لولي أمر المسلمين، والجماعة لا تكون إلاّ بإمام، لا بد من الإمام، ولا تكون جماعة بدون إمام يقودهم ويحميهم ويدير شؤونهم، فلا بد من إمام يرجعون إليه.

عليك أن تلزم جماعة المسلمين وإمام المسلمين، هٰذا فيه نجاةٌ من الفتن، وهٰذا إذا تأملته وجدته مطابقاً لزماننا هٰذا، واللهُ أعلم بما يأتي بعده. الآن الفتن كثيرة وشديدة، والدعايات المضلّة كثيرة، ووسائل نشر الشر توفرت ونشطت، وصار الشر يروّج، ويدعَى إليه، ودعاة الضلال على قدم وساق، في الفضائيات، وعلى الإنترنت، وفي الكتب يروِّجون الشرّ والضلال ويحرّضون على الفرقة والاختلاف، ويدعون إلى حرية الرأي، وحرية الكلمة وما أشبه ذٰلك؛ يريدون أن يفككوا أوصال المسلمين، فإذا لم يكن عندك خبرة في هٰذا الأمر، وقعت في الهلاك إلاّ من رحمه الله.

. . . .

فعليك أن تلزم جماعة المسلمين. والحمد لله أنت في هٰذه البلاد السعودية في دولة مسلمة ومع جماعة من المسلمين لهم إمام، هٰذا من نعم الله سبحانه وتعالى، فنحن في نعمة عظيمة، لكن لا تنسوا أن الأعداء يحفرون لهٰذه الدولة، ولهٰذه الجماعة، يريدون أن يزيلوها من الوجود حتى تكون مثل البلاد الأخرى، فلا يبقى أمامهم شيء يمنعهم، فلنكن على حذر من هٰذا، ألم يجندوا من أبنائنا من يفجّرون، من ينتحرون، فما الغرض من هٰذا؟ الغرض من هٰذا إشعال نار الفتنة وتفريق هٰذه الجماعة، وإزالة هٰذه النعمة، هٰذا هو الغرض الذي يريدونه، يسمّون هٰذا بالجهاد، يسمّونه استشهاداً في سبيل الله، هٰذا من زخرف القول والترويج للباطل، فهٰذه أمور علّمنا النبي ﷺ وحذّرنا منها قبل وقوعها، كُلَّما حدث شيء من هٰذا يكون عندنا منه خبر ومعرفة، وكيف نقاومه وكيف نسلم من شرّه.

فالرسول ﷺ أرشد إلى أن السلامة من الفتن إذا حدثت تكون بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] وما دام

. . . .

المسلمون على طريقة صحيحة وعلى سبيل الهدى، فكن معهم، فإذا خرجت عن ذٰلك، فأنت متوعَّد بأن يصليك الله جهنم وساءت مصيراً.

قال حذيفة: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ماذا أفعل؟ إلى أين ألجأ، أين أذهب؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها» لا تدخل مع هٰذه الفرق، ومع هٰذه الجماعات الضالة، لا تنخدع بها، ابق وحدك، وتمسك بكتاب ربِّك وسنة نبيِّك ولو أنك وحدك، اعتزل تلك الفرق كلها «ولو أن تعضّ على أصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذٰلك» الحاصل أن هٰذا فيه التحذير من اتّباع الفرق الضالة المنحرفة، فإن وجدت جماعة للمسلمين وإماماً لهم، فكن معهم، فإن لم تجد، فعليك أن تعتزل هٰذه الفرق كلها، وذكر ﷺ فيما ذكر أنها تكون فتنة عمياء، شديدة ـ والعياذ بالله ـ مظلمة، ودعاةٌ على أبواب جهنم، من أطاعهم قذفوه فيها، لا يقولون لهم: تعالوا إلى جهنم، تعالوا إلى النار، يقولون: تعالوا إلى الجنة وإلى الخير، نحن مجاهدون، نحن ندعوا إلى الله، لكنهم في الواقع دعاةٌ إلى جهنم، من أطاعهم قذفوه فيها.

قال حذيفة رضي الله عنه: صِفْهم لنا يا رسول الله، قال: «هم من جلدَتنا، ويتكلمون بألسنتنا»، لا يأتون من الخارج،

. . . .

أو من الدول الأجنبية، هم من أبنائنا، ويتكلمون بألسنتنا أي باللغة العربية لأنهم منّا، وهٰذا أشد، لو كان الداعية إلى الضلال قادم من الخارج، أو من دول كافرة، عرفه الناس، ولم يثقوا به، ولكن المشكلة إذا كان من أبناء المسلمين، ويتكلم باللغة الفصحى، لغة العرب، فعند ذٰلك تعظم المصيبة، هٰذا تفصيل من الرسول ﷺ واضح وفيه تحذير من هٰذه الفتن، وهٰذه الشرور، وأن تلزم ما عليه جماعة المسلمين وإمامهم، ولا تلتفت إلى هٰذه الفتن ودعاتها، ولكن احذر منها، فإذا كان هناك جماعات متعدّدة، وهنا جماعة على الحق، فكن مع الجماعة التي على الحق، ولهٰذا قال ﷺ: «تفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة» قيل: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»[1] هٰذه الفرقة الناجية، واثنتان وسبعون فرقة كلها في النار، وواحدة هي الناجية وهي الثالثة والسبعون، واحدة فقط، وهٰذه الواحدة هي ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، هي الناجية، فإذا كنت تريد النجاة فابق مع هٰذه الفرقة ولا تغترّ ببقية الفرق.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وزاد أبو داود: قلت: ثم ماذا؟ قال: «يخرجُ الدّجالُ معه نهرٌ ونارٌ، فمَن وَقَع في نارِه، وَجَب أجرُه، وحُطَّ وِزرُه، ومَن وقع في نهرِه، وَجَبَ وِزرُه وحُطَّ أجرُه» قال: قلت: ثم ماذا؟ قال: «ثم هي قيامُ الساعةِ»[1]. [٦٩]

[٦٩] من الفتن الشديدة، ظهور المسيح الدجال في آخر الزمان، وخروجه من علامات الساعة الكبرى، وسمّي بالدجال، من الدجل: وهو الكذب، لكثرة كذبه، وهٰذا الرجل يظهر في اليهود، وهو المهدي الذي ينتظره اليهود، يخرج فيهم ومعه فتنة عظيمة، معه صورة جنة وصورة نار، فالنار التي معه هي الجنة، والجنة التي معه هي النار، هٰذا دليل على أن الإنسان يجب عليه أن لا يغترَّ بالزخرف، فهٰذا الدجال يصوّر أن ما معه جنة وهو في الحقيقة نار، ويصوّر ما معه بأنه نار وهو جنة، فهٰذا فيه التحذير من السحرة المشعوذين الذين يسمون سحرهم السيرك أو الفن وهو السحر التخييلي المسمى (بالقمرة) وفيه التحذير من الدعايات المضللة وأن لا يزهد الإنسان بالحق، ولو أن الحق لُبِّس عليه ووصف بالتأخر

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٤٤)، وأحمد في «المسند» (٢٣٤٢٩) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

قال أبو العالية: تعلَّموا الإسلامَ فإذا تعلمتموه فلا تَرغَبُوا عنه، وعليكم بالصِّراطِ المستقيمِ فإنه الإسلام، ولا تَتحرَّفوا عن الصراط يميناً ولا شمالاً، وعليكم بسُنَّة نبيِّكم وإيَّاكم وهٰذه الأهواءَ[1]. [٧٠]

والرجعية والجمود وكذا وكذا، الحق هو الحق، والباطل هو الباطل ولو وصف بالتقدم والحضارة والرّقي هو باطل، الدجّال يأتي في آخر الزمان، معه فتن عظيمة، ويغتر به كثير من الناس وينخدعون بما معه من الفتن، ولا يسلم من شرِّه إلا القليل، ولهٰذا كان النبي ﷺ والأنبياء كلهم يحذِّرون من المسيح الدجّال، وأشدّهم تحذيراً نبيّنا محمد ﷺ لقرب زمان خروجه، ولذلك أمرنا ﷺ أن نستعيذ بالله من أربع في كل صلاة، في التشهد الأخير: بأن نقول: أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدّجال[2].

[٧٠] أبو العالية الرِّياحي، هو رُفيع بن مهران الرياحي: من أئمة التابعين، يوصي بوصايا عظيمة:

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٢/ ٢١٨.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

. . . .

أولها: تعلّموا الإسلام: أي اعرفوا الإسلام ما هو، ولا يكفي أن تقول أنا مسلم وأنت لا تعرف الإسلام، لا بد أن تعرف ما هو الإسلام، وما هي أركانه، وما هي نواقض الإسلام، حتى تكون على بصيرة، أن تعرف معناه وتعريفه، وتعرف أركانه، وتعرف مكملاته ومناقضاته ومنقصاته حتى تكون على بصيرة، وهٰذا فيه الحث على تعلُّم العلم النافع لأنه هو الحياة وهو النجاة بإذن الله. هٰذه واحدة.

الثانية: فإذا تعلتموه وعرفتموه عليكم بالتمسك به، لا يكفي أن يكون الإنسان عالماً، بل يجب عليه أن يعمل بعلمه، وإلاّ فالكثير من العلماء أهل ضلال، أي: ضلّوا وهم عندهم علم، فاليهود عندهم علم وقد ضلُّوا وكفروا، فلا يكفي مجرد العلم، لا بد من التمسك بالحق، والثبات والصبر عليه مع العلم، فهو (علم وعمل). أوصي أولاً بالعلم ثم أوصي بالعمل والثبات عليه.

الثالثة: أن تلزم الصراط المستقيم قال الله جل وعلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وقال تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] فالصراط هو الطريق، والمستقيم هو المعتدل الذي ليس فيه مَيَلان

تأمَّلْ كلامَ أبي العاليةِ هٰذا، ما أَجَلَّه، واعرِفْ زمانَه الذي يحذِّرُ فيه من الأهواءِ التي مَن اتَّبعها فقد رَغِبَ عن الإسلامِ، وتفسيرَ الإسلامِ بالسُّنَّة، وخوفَه على أعلامِ التابعينَ وعلمائهم من الخروج عن السُّنة والكتاب، يَتبيَّنُ لك معنى قولِه تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[البقرة: ١٣١]، وقولِه: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وقولِه تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾

وانحراف، هٰذا هو الصراط المستقيم، أمرنا الله بأن نتبعه وأمرنا أن نسأله أن يهدينا هٰذا الصراط، أن يعرفنا به، وأن يثبتنا عليه.

أما الوصية الرابعة: فهي أنك إذا وفقك الله لمعرفة الصراط المستقيم وسرت عليه، فلا تنسَ دعاة الضلال الذين يريدون أن يحرفوك عن الصراط المستقيم، ولهٰذا قال جل وعلا: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] والرسول ﷺ ضرب لهٰذا مثلاً.

[البقرة: ١٣٠]، وأشباهِ هٰذه الأُصولِ الكِبَارِ التي هي أَصلُ الأصولِ والناسُ عنها في غفلةٍ. [٧١]

---

[٧١] يقول الشيخ رحمه الله: تأمل كلام أبي العالية هٰذا، وما فيه من الفوائد العظيمة، وزمان أبي العالية متى؟ إنه زمان التابعين، فكيف بزماننا هٰذا، أبو العالية خاف على التابعين فكيف بزماننا هٰذا، إنه أشدّ خطراً.

«وتفسر الإسلام بالسنة» أي السنة التي كان عليها رسول الله ﷺ.

«وخوفه على أعلام التابعين وعلمائهم من الخروج عن السنة والكتاب» إذا كان قد خاف على أعلام التابعين، فكيف بنا نحن؟ الخوف علينا أشد.

«يتبين لك معنى قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ١٣١]» قال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣١] استجاب لأمر الله عز وجل وأسلم نيته وقصده وعمله لله عز وجل، هٰذا هو الإسلام. الإخلاص لله عز وجل، والانقياد لله عز وجل، ولهٰذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية، ونقله عنه الشيخ محمد بن

. . . .

عبد الوهاب في «الثلاثة الأصول»: الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

«وقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]» وهٰذه وصية إبراهيم عليه السلام ووصية يعقوب عليه السلام، كلّ منهما وصّى ذريته بالتمسك بالإسلام، وأنتم من ذرية إبراهيم عليه السلام، فالوصية شاملة لكم ولمن يأتي بعدكم إلى أن تقوم الساعة، ووصّى بها يعقوب بني إسرائيل الذين هم اليهود، فالله وصّى بهٰذا العرب والعجم، وصّاهم جميعاً على لسان إبراهيم ويعقوب عليهما السلام ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ أي: اختاره لكم، هٰذه نعمة عظيمة، بينما أكثر البشر على الضلال، وأنتم أنعم الله عليكم بهٰذا الدين العظيم، وبعث إليكم هٰذا الرسول الكريم محمداً ﷺ، أفضل الرسل، ودينكم أفضل الأديان، هٰذه نعمة عظيمة ﴿ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ هٰذه هي المهمة، معناه أن تثبت على هٰذا الدين، حتى يأتيك الموت، فإذا جاءك الموت وأنت على هٰذا الدين فأنت من السعداء، أما إن جاءك الموت وأنت منحرف عن هٰذا الدين فأنت من الأشقياء، فالعبرة بالخاتمة التي تموت عليها ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم

. . . .

مُّسۡلِمُونَ﴾ أي: اثبتوا. هٰذا فيه الحث على الثبات على الدين حتى يأتيك الموت وأنت عليه لا تتركه أبداً.

«وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ [البقرة: ١٣٠]» ومن يرغب: استفهامُ إنكارٍ، أي: لا يرغب أحد، يعني لا يترك أحد ملة إبراهيم إن كان يريد النجاة لنفسه، فلا يترك ملة إبراهيم التي بُعث بها نبينا محمد ﷺ ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ السفه معناه: خفة العقل وضياعه، فمن ترك ملة إبراهيم فقد خسر نفسه وأهلكها، وأعز شيء عند الإنسان نفسه، فإذا خسر نفسه خسر أعزَّ شيء عنده ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [الزمر: ١٥] فكيف يخسر الإنسان نفسه؟ إذا ترك ملة إبراهيم خسر نفسه.

«وأشباه هٰذه الأصول الكبار التي هي أصل الأصول والناس عنها في غفلة» أشباه هٰذه النصوص، وهٰذه الآثار التي فيها هٰذه الوصايا العظيمة، وأكثر الناس في غفلةٍ عنها لا يقرؤونها ولا يتعلمونها، وإذا تعلّموها فقليل من يعمل بها، وإذا عملوا بها، فقليل من يثبت عليها، فالأمر يحتاج إلى استعانة بالله عز وجل وإلى اهتمام، ولا يثق الإنسان بنفسه ويأمن من الفتن، بل يخاف من الفتن ويتجنبها، ولا يكون

وبمعرفتِه تَبيَّن معنى الأحاديثِ في هٰذا الباب وأمثالها، وأنَّ الإنسان الذي يقرؤُها وأشباهَها وهو آمِنٌ مطمئنٌ أنها لا تنالُه ويظنها في قوم كانوا فبادُوا ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]. [٧٢]

إمّعة مع الناس، بل يكون مع الحق دائماً وأبداً، فإذا بلغه شيء فإنه يعرضه على الحق، فإن وافقه فالحمد لله، وإن خالفه فإنه يتركه.

[٧٢] الذي يقرأ هٰذه النصوص وأمثالها ويتفقه بها ويعمل بها، يكون على طريق النجاة، طريق السلامة، وأما الذي لا يلتفت إليها، أو يقرؤها، ولٰكن لا يتأملها ولا يتفقه فيها، أو يأمن على نفسه من الفتن والانحراف، فهٰذا حريٌّ أن يكون مع الهالكين؛ لأنه لم يأخذ بأسباب النجاة، وعلى الإنسان أن لا يغتر بنفسه ولا بعلمه، ولا يغتر بدينه، لأن الإنسان بشر، وهو عُرضة للفتن، والإنسان ضعيف، ولهٰذا كان نبيُّنا ﷺ يكثر من قوله: «يا مقلِّب القلوب ثبّت قلبي على دينك»[1]

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٤٠)، وهو في «مسند الإمام أحمد» (١٢١٠٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

. . . .

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٧-٨] الراسخون في العلم يخافون من الزيغ، لذلك يقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ فالإنسان يكون على خوف، وإذا خاف فإنه يبحث عن النجاة، أما إذا أمن فإنه يقع في الهلاك، وهو لا يدري قال الله جل وعلا: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] فالله جل وعلا يمكر بأهل الشر، بمعنى أنه يستدرجهم، عقوبةً لهم فمكره جل وعلا بحق، وهو إيصال العقوبة إلى من يستحقها بطريق خفيّ لا يتنبه له، وهو من الله محمود، لأنه جزاء وعدل، لا يمكر بأحد إلا وهو يستحق، لا يمكر بالصالحين، إنما يمكر بأهل الشر ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤] وقال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] والجزاء من جنس العمل، فلما مكروا بعباد الله، ومكروا بالرسول ﷺ يريدون قتله أو سجنه أو طرده، مكر الله لرسوله، وأخرجه من بينهم وهم لا يشعرون، وخرج ﷺ إلى الغار واختفى فيه، ولما انقطع الطلب، ذهب إلى المدينة، ووجد الأنصار والمسلمين، وقامت دولة الإسلام. فالله مكر بالكفرة من حيث لا يشعرون.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: خَطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا، ثم قال: «هذا سبيلُ الله» ثم خَطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شمالِه، ثم قال: «هٰذه سُبُلٌ متفرِّقةٌ، على كل سبيلٍ منها شيطانٌ يَدعُو إليه» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] رواه أحمدُ والنسائيُّ[١]. [٧٣]

---

[٧٣] يقول تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ وقد فسر الرسول ﷺ هٰذا بمثال محسوس، بأن خط خطاً مستقيماً وخط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، فقال عن المستقيم: «هٰذا سبيل الله»، وقال عن بقية الخطوط «هٰذه سبل متفرقة، على كلّ سبيلٍ منها شيطان يدعو إليه» وهٰذا يذكرنا بالدعاة الذين مرّ ذكرهم في حديث حذيفة «دعاة على أبواب جهنم»[٢] هم هؤلاء، على كل سبيل شيطان منهم يدعو إليه، ليخرج الناس من الصراط المستقيم إلى هٰذه السبُل، هٰؤلاء هم دعاة الضلال، هم الذين من جِلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا.

---

(١) أحمد في «المسند» (٤١٤٢)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٠٩).
(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

باب ما جاءَ في غُرْبة الإسلام وفضل الغُرباء

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ﴾ الآية [هود: ١١٦]. [٧٤]

---

[٧٤] بدأ الإسلام غريباً، فأول ما قام الرسول ﷺ بمكة ـ لما بعثه الله وقال له: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ٢] ـ قام وحده ﷺ، ثم انضم إليه أبو بكر الصديق، وبلال، ولهٰذا لما سُئل ﷺ من معك على هٰذا الأمر؟ قال ﷺ: «حُرٌّ وعبد»[١] ما معه إلا اثنان فقط، ثم تتابع المسلمون واحداً واحداً وهم على خوف وامتحان وابتلاء، وتكوَّن معه ﷺ جماعة في مكة، وهم يُؤذَون ويبتلون إلى أن أذن الله لهم بالهجرة إلى المدينة، هٰذا معنى قوله: «بدأ الإسلام غريباً»، والغريب هو النادر، وهو الإنسان الذي يكون في بلدٍ غير بلده، أو يكون مع أناسٍ ليسوا من جنسه، كما قال ﷺ لابن عمر: «كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل»[٢] فالغربة: هي الشيء النادر،

---

(١) أخرجه مسلم (٨٣٢) من حديث عمرو بن عبسة، رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٦) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

. . . .

وكذلك الغريب الشيء النادر القليل، فالإسلام بدأ أول الأمر غريباً، يعني قليلاً أهله، ثم تكاثروا كما قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ ﴾ [الفتح: ٢٩] فالزرع أول ما يظهر يكون ضعيفاً قليلاً، ثم ينمو ويصبح له فراخ، والحبة الواحدة يتكون منها عدة قصبات، كقوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ﴾ [البقرة: ٢٦١] ﴿ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ ﴾ يعني فراخه ﴿ فَـَٔازَرَهُۥ ﴾ يعني: قواه، فالزرعة إذا فرّخت تقوى، يصبح للنبتة جذع، وغصون، فتقوى، فمن قصبة واحدة أصبحت عدة قصبات متجاورة قوية ﴿ فَٱسْتَغْلَظَ ﴾ أي: كان ضعيفاً فقوي ﴿ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾ أي ارتفع عليها، والسوق: جمع ساق وهي القصبات. هٰذا مثل الصحابة رضي الله عنهم، ﴿ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ يغيظ بالصحابة الكفار، ومن هنا أخذ بعض العلماء أن من يسب الصحابة يكفر لقوله: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ فقالوا: هٰذا دليل على أن من أبغض الصحابة، وسبّهم وتنقّصهم أنه كافر. نعم بدأ الإسلام غريباً، فأول ما نشأ الإسلام كان غريباً، وفي آخر الزمان يعود غريباً، ويكون المتمسكون به غرباء، مثلما كانوا في مكة في أول البعثة.

. . . .

«وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ﴾ الآية» ﴿فَلَوْلَا﴾ معناه هلاّ، أي: هلا كان من القرون، يعني من الأمم من قبلكم، لما ذكر سبحانه هلاك الأمم في سورة هود قال: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فما هلكت هٰذه الأمم إلاّ لأنها لم يكن فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ دلّ هٰذا على أن من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ينجو إذا جاء العذاب، وأما الذي لا يأمر ولا ينهى فإنه يهلك ولو كان من الصالحين، لكن يبعثه الله يوم القيامة على نيّته كما جاء في الحديث[١]، فإذا وقع العذاب لا ينجو إلا الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فقوله ﴿قَلِيلًا﴾ هؤلاء هم الغرباء، هٰذا وجه سياق المصنف للآية في غربة الإسلام.

---

(١) أخرج أحمد في «مسنده» (٢٦٧٠٢) عن أم سلمة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «يغزو جيش البيت حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم» قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت المُكرَه منهم؟ قال: «يبعث على نيته».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «بدأَ الإسلامُ غريباً وسيعودُ كما بدأَ غريباً، فطُوبَى للغُرباءِ» رواه مسلم(١).

ورواه أحمدُ من حديث ابن مسعودٍ رضي الله عنه وفيه: قيل: مَن الغُرباءُ؟ قال: «النُّزَّاعُ من القبائِل»(٢).

وفي رواية: «الذين يَصلُحون إذا فَسَد الناسُ»(٣).

ورواه أحمد من طريق سعد بن أبي وقاص وفيه: «فطُوبَى يومئذٍ للغرباءِ إذا فسدَ الناسُ»(٤).

وللترمذي(٥) من حديث كثير بن عبد الله، عن أبيه، عن جده: «فطُوبَى للغرباءِ الذين يُصلِحُون ما أفسدَ الناسُ من سُنَّتي». [٧٥]

---

[٧٥] هٰذا خبر من الرسول ﷺ معناه: التحذير من الضلال والحث على التمسك بالإسلام ولو كان أهله قليلين.

---

(١) برقم (١٤٥).

(٢) أحمد في «المسند» (٣٧٨٤).

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على «المسند» (١٦٦٩٠).

(٤) أحمد في «المسند» (١٦٠٤).

(٥) برقم (٢٦٣٠).

. . . .

وقوله: «فطوبى للغرباء» هٰذا ترغيب في أن يكون المسلم مع الغرباء في آخر الزمان ولا يزهّده في الإسلام قلة أهله.

وطوبى: قيل هي شجرة في الجنة، وقيل: هي الجنة نفسها يقال لها طوبى، وقيل: هي كلمة طيبة ومنه قوله تعالى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ [الرعد: ٢٩].

«ورواه أحمد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وفيه قيل: من الغرباء، قال: النزّاع من القبائل» النزاع: جمع نزيع ونازع، وهو الغريب الذي نزع عن أهله وعشيرته، أي: الذين يخرجون عن الأوطان لإقامة سنن الدين، والقليل من الناس من يهجر وطنه وعشيرته من أجل إعلاء كلمة الحق، ومن أجل نشر دين الله الحق، وهو الإسلام، في أرجاء المعمورة.

وفي رواية «الذين يصلحون إذا فسد الناس» يعني جاء في وصفهم ثلاثة أوصاف: النزّاع من القبائل، يعني: الأفراد الذين يهجرون أوطانهم في سبيل إقامة سنن الدين، وهٰذا دليل على أن الإسلام في آخر الزمان سيصير غريباً. الوصف الثاني: الذين يصلحون إذا فسد الناس، يصلحون، أي: يصبرون على الدين ولا ينظرون لفساد الناس ولا يقولون: نحن مثل الناس، لا نصبح بين الناس منفردين، نتابع الناس، نتابع المجتمع، نتابع البلد... لا، هؤلاء يصبرون

. . . .

ولو كانوا قليلين ولو خالفهم الناس، يصلحون إذا فسد الناس ولا يَفسدون مع الناس، ولكن كونهم يصلحون بين الناس هٰذا يحتاج إلى صبر وثبات وثقة ومعرفة. الوصف الثالث: يصلحون ما أفسد الناس يعني: يكونون صالحين في أنفسهم، ويصلحون ما أفسد الناس بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم الخير، يصلحون ما باستطاعتهم ولا يسكتون.

«ورواه أحمد من طريق سعد بن أبي وقّاص وفيه: فطوبى يومئذٍ للغرباء إذا فسد الناس» أي إذا فسد الناس لا يثبت على الحق إلاّ من كان عنده إيمان ويقين وقوة وإلا فإنه ينجرف مع الناس، فضعيف الإيمان أو مزعزع الإيمان أو قليل الفقه والعلم ينجرف مع الناس.

«وللترمذيِّ من حديثِ كثير بن عبد الله، عن أبيه، عن جدِّه: فطُوبى للغُرَباء الذين يُصلِحون ما أفسَدَ الناسُ من سُنَّتي» يصلحون ما أفسد الناس، والله جل وعلا يقول: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧] لم يقل صالحون، بل قال: مصلحون، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وينشرون الخير، أما إذا كانوا صالحين

وعن أبي أُميَّة قال: سألتُ أبا ثعلبة الخُشَنيَّ رضي الله عنه: كيف تقولُ في هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة: ١٠٥] قال: أما واللهِ لقد سألتَ عنها خبيراً، سألتُ عنها رسولَ الله ﷺ فقال: «بل ائتَمِروا بالمعروفِ وتناهَوا عن المنكر، حتى إذا رأيتَ شُحًا مُطاعاً، وهوًى متَّبَعاً، ودُنيا مُؤْثَرةً، وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيه، فعليك بنفسِكَ، ودَعْ عنك العوامَّ، فإنَّ من ورائكم أياماً، الصبرُ فيهنَّ مثلُ القبض على الجَمْر، للعامِلِ فيهن مثلُ أجرِ خمسين رجلاً يعملون مِثلَ عملكم»، قيل: منا أو منهم؟ قال: «بل منكم». رواه أبو داود والترمذي[1]. [٧٦]

في أنفسهم وساكتين فإنهم يهلكون مع الهالكين، تعمهم العقوبة في الدنيا، لكن يوم القيامة يبعثهم الله على نيّاتهم.

[٧٦] هذا حديث عظيم، يفسر قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة: ١٠٥]

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، وابن ماجه (٤٠١٤)، والترمذي (٣٠٥٨).

. . . .

لأنه قد يفهم منها بعض الناس أو كثير من الناس أنك إذا كنت صالحاً في نفسك، فلا تأمر بالمعروف ولا تَنْهَ عن المنكر، فيفهم من الآية أن معناها: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تعتني بنفسك فقط، وهٰذا خطأ. ليس هٰذا هو تفسير الآية، وإنما تفسير الآية هو أنه إذا فسد الناس فلا تفسد أنت، هٰذا هو المقصود من الآية، ولا تقلّد الناس، وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو باقٍ لا يسقط قال ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه»[1] فلا بد من إنكار المنكر في كل زمان إلى أن تقوم الساعة، فليس معنى الآية ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن معناها: أنك تصلح أنت ولا تنظر إلى فساد الناس، ومع صلاحك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ولهٰذا يقول أبو بكر رضي الله عنه: إنكم تقرؤون هٰذه الآية وتضعونها على غير مواضعها: وإنا سمعنا النبي ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب»[2] فليس معناها إسقاط الأمر

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٣٨)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، والترمذي (٢١٦٨)، وهو في «مسند الإمام أحمد» (١).

. . . .

بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كثر الشر، وإنما معناها: أن على الإنسان أن لا ينجرف مع الناس.

وقوله: «فإن من وراءكم أياماً، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر» هٰذا في آخر الزمان عند غربة الإسلام يحتاج المسلم إلى الصبر، وإلاّ فإنه سيلقى من الناس التعب والمشقة؛ لأنه يعيش بين أُناس يخالفونه في كل شيء، فعليه بالصبر وأن لا يزهد بالحق، ولا ينجرف مع الناس، وهٰذا يحتاج إلى صبر، لأنهم سيذمونه ويعيّرونه، أو ربما يؤذونه ويضربونه أو يهدّدونه، ولكن عليه أن يصبر، لأنه على الحق حتى لو قتلوه، لأنه على حق، فالإمام أحمد رحمه الله، سُحب في الأسواق وضُرب، حتى أغمي عليه وسجن رحمه الله ولم يعبأ بهٰذه الأمور.

وقوله: «للعامِلِ فيهنَّ أجرُ خمسين رجلاً يعملون مِثلَ عملكم» هٰذه مسألة مشكلة فالرسول ﷺ قال: إن الذي يتمسَّك بالدين في آخر الزمان عند الفتن له أجر خمسين رجلاً من الصحابة، قالوا: منا أو منهم، قال: «بل منكم» لماذا؟ لأن الصحابة مع الرسول ﷺ والدين عزيز في ذٰلك الوقت، والمسلمون كثيرون، أما هٰذا فهو غريب، ومع هٰذا

وروى ابنُ وضَّاح معناه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «إنَّ من بعدكم أياماً للصابر فيها، المُتمسِّكِ بمِثلِ ما أنتم عليه اليومَ أجرُ خمسين منكم». ثم قال: أنبأنا محمدُ بنُ سعيد، أنبأنا أسدٌ، قال: أنبأنا سفيان ابن عُيَينة، عن أسلم البصري، عن سعيد بن أبي الحسن ـ قال: قلتُ لسفيان: عن النبيِّ ﷺ؟ قال: نعم ـ قال: إنكم اليومَ على بيِّنةٍ من ربِّكم تأمرون بالمعروف،

تمسك بالدين ودافع عن الدين مع أنه ليس له أنصار ولا أعوان، ولذلك حاز على هٰذا الأجر، وأصبح في هٰذه المسألة أفضل من الصحابة، وهي مسألة خاصة، والصحابة أفضل منه في أمور أخرى في الصحبة والجهاد في سبيل الله مع رسول الله ﷺ، وفي الهجرة، هو أفضل منهم في خصلة واحدة، وهم أفضل منه في خصال كثيرة، فليس معنى هٰذا أنه يأتي في آخر الزمان من هو أفضل من الصحابة مطلقاً. لا بل أفضل من الصحابة في نقطة واحدةٍ فقط، والصحابة عندهم فضائل كثيرة، ليست عند هٰذا، ويقولون: إن الفضيلة الخاصة لا تقضي على الفضيلة العامة، ينبغي معرفة هٰذا، فالصحابة لا أحد أفضل منهم أبداً.

وتنهَون عن المنكر، وتُجاهِدون في سبيل الله، ولم يظهر فيكم السَّكْرتان: سَكْرة الجهل وسَكْرة حب العيش، وستحولون عن ذٰلك. فالمتمسِّكُ يومئذٍ بالكتاب والسنة له أجرُ خمسين. قيل: منهم؟ قال: «بل منكم»[1]. [٧٧]

---

[٧٧] ابن وضاح، هو الإمام الحافظ، محدث الأندلس محمد بن وضاح بن بزيع، له كتاب اسمه «الحوادث والبدع» مطبوع.

روى ابن وضاح معنى حديث أبي ثعلبة الخشني ولكن من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ولفظه: «إن من بعدكم أياماً للصابر فيها المتمسك بمثل ما أنتم عليه اليوم أجرُ خمسين منكم».

هٰذه الأيام التي تشتد فيها غربة الإسلام، وقلة الأنصار والأعوان، وكثرة الأعداء والمخذّلين والمُرجِفين، كما تعلمون الآن، والله أعلم يأتي زمان أشد من هٰذا، فالذي يثبت على دينه، ويثبت على جهاده ودعوته، فهٰذا يكون

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٨/ ٤٩ من حديث أنس بن مالك، وحديث معاذ بن جبل رضي الله عنهما.

. . . .

كالقابض على الجمرة، ومن شدة ما يلقى من الناس يحتاج إلى صبر شديد.

«إن من بعدكم أياماً للصابر فيها المتمسك بمثل ما أنتم عليه اليوم له أجر خمسين منكم»: «بمثل ما أنتم عليه» يعني الصحابة، الذي يثبت على الدين وعلى طريقة الرسول ﷺ وأصحابه يكون من الفرقة الناجية، هٰذا معناه، لأنه يصبر حينما يتزلزل كثير من الناس، حينما ينجرف كثير من الناس، يصبر هو على الحق، ويصبر على مخالفة الناس، ولوم الناس وذمهم، بل يصبر على ما يناله منهم في نفسه، وفي جسمه، فقد يُضرب، وقد يُسجن، وقد يقتل، يصبر لأنه على الدين، فما دام على الدين، وعلى الحق، فلا يهمه ما يصيبه في هٰذه الدنيا، لأنه لحظة وينتهي.

ثم قال: «أنبأنا محمد بن سعيد، أنبأنا أسد، قال: أنبأنا سفيان بن عُيينة، عن أسلم البصري، عن سعيد بن أبي الحسن يرفعه فقال: قلت لسفيان: عن النبي ﷺ؟ قال: نعم».

يعني: هل هٰذا الذي ترويه ورد عن النبي ﷺ قال: نعم، يعني ليس أثراً عن غير النبي ﷺ، وإنما هو مرفوع للنبي ﷺ.

. . . .

والسكرتان: سكرة الجهل وسكرة حب الحياة، والجهل داء قاتل، وليت الجاهل يسكت على جهله، ولكنه جاهل يتكلم في أمور الدين ويفتي، هٰذه المصيبة، أما الجاهل الذي يعترف بجهله، ويقصر شرّه عن الناس، هٰذا أخف من الجاهل الذي يتكلم في أمور الدين، ويحلل ويحرّم، ويفتي وهو على جهل، فهٰذا يحدث في آخر الزمان حينما يقلّ الفقهاء، ويكثر القراء، ويتخذ الناس رؤوساً جهّالاً يفتون بغير علم، ويَضلون ويُضلون، هذه سكرة الجهل، والثانية: حب العيش وحب الدنيا، فإذا أحب الدنيا، نسي الآخرة، وصار يعمل للدنيا، فالذي يحب شيئاً يعمل له، فيعمل للدنيا ولا يعمل للآخرة، هٰذا يصيب كثيراً من الناس في آخر الزمان، جهل وتعلق بالدنيا ونسيان للآخرة، الآن يقولون: لا تذكروا الجنة والنار في الخطب وتخوفون الناس، هٰذا إرهاب، وأنتم أناس متزمتون، عندكم قنوط، يقولون هٰذا الآن، لحبهم للدنيا، ولا يريدون ذكر الجنة والنار والقبر وعذاب القبر، يقولون: أنتم تكدّرون على الناس عيشهم ولذتهم، فالناس يريدون أن يسرحوا ويمرحوا، وأنتم تقولون لهم: هناك جنة ونار وعذاب قبر وحساب، يقولون:

وله بإسناد عن المعافِرِيِّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «طُوبى للغُرَباء الذين يتمسَّكون بكتاب الله حين يُترَك ويعملون بسُنتي يوم تُترك». [٧٨]

لا تعرضوا هٰذا في الخطب، فهٰذا من الفتن والعياذ بالله، وهٰذا ظهر في الناس، وكتبوه في الصحف وقالوه في مجالسهم، وذمّوا الخطيب الذي يعظ الناس ويذكّرهم بالله ويقولون: هٰذا تيئيس للناس وتكدير لهم، فسبحان الله.

[٧٨] هٰذا كما سبق أنه ﷺ سُئل: من الغرباء؟ قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس»(١) وفي رواية: «يصلحون ما أفسد الناس»(٢) وهٰذا الحديث يقول فيه: «طوبى للغرباء الذين يتمسكون بكتاب الله» هم يتمسكون بأنفسهم، ويُمسِّكون غيرهم بكتاب الله، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويعلِّمون دين الله، ويدعون إلى الله، ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠] فلا شك أن الذي يثبت على الدين عند الفتن والشرور

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائده على «المسند» (١٦٦٩٠) من حديث عبد الرحمٰن بن سنَّة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٣٠) من حدي عمرو بن عوف رضي الله عنه.

. . . .

وانقلاب الناس ضده، أن هٰذا يُرجى له خير كثير، لكن هٰذا نادر، فأكثر الناس لا يصبرون، ولو أنهم يحبون الخير لصبروا، والشيخ ابن رجب رحمه الله له رسالة قيمة في هٰذا الموضوع، في مسألة الغربة عنوانها «كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة» مطبوعة، شرح فيها حديث «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ».

* * *

باب التحذير من البِدَع [٧٩]

[٧٩] البدع: جمع بدعة وهي: ما أُحدث في الدين مما ليس منه، عبادة أو ذكر أو غير ذٰلك من أمور الدين، فالدين كاملٌ ولله الحمد، لأنه ما توفي الرسول ﷺ إلاّ والدين كاملٌ، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] فلا يحتاج إلى أحدٍ يأتي ويضيف إلى الدين شيئاً جديداً ولو كانت نيته صالحة، فلا يجوز هٰذا، فهٰذا مبتدع ولو كانت نيته صالحة، فالدين لا يقبل الزيادة والإضافة، لأن الله أكمله ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فهٰذه هي البدعة، وقد قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هٰذا ما ليس منه فهو رد»(١)، وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»(٢) وقال عليه الصلاة والسلام: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين» كما يأتي في حديث العرباض «تمسكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ» ولما حث على التمسك بالسنة نهى عن البدع، فقال: «وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» وقال ﷺ:

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) (١٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٨) (١٨).

عن العِرباض بن ساريةَ رضي الله عنه قال: وَعَظَنا رسولُ الله ﷺ موعِظةً بليغةً، وَجِلَت منها القلوبُ، وذَرَفَت منها العيونُ، قلنا: يا رسولَ الله، كأنها موعظةُ مودِّع فماذا تعهد إلينا؟ قال: أُوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمعِ والطاعةِ وإن تأمَّر عليكم عبدٌ، فإنه مَن يَعِش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسُنتي وسُنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عَضُّوا عليها بالنواجِذِ، وإياكم ومُحدَثات الأمور، فإن كلَّ مُحدَثة بدعةٌ، وكلَّ بدعة ضلالةٌ»(١) قال الترمذي: حديث حسن صحيح. [٨٠]

«إن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشر الأمور محدثاتها»(٢) الواجب الاتباع وترك الإحداث والاستحسانات والتقليد الأعمى للمبتدعة.

[٨٠] أمر الله رسوله ﷺ أن يعظ الناس، فقال: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]، فاليوم لو

---

(١) أخرجه أحمد (١٧١٤٥)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢) و(٤٣)، والترمذي (٢٦٧٦).

(٢) أخرجه مسلم (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

. . . .

أتي أحد ليعظ، يقولون: هٰذا معقّد متشائم. . لا يفتح للناس البسمة والسرور والفرح. فالرسول ﷺ وعظ أصحابه، وفي هٰذا دليل على أن العالم يعظ الناس فقد كان ﷺ يتخوَّل أصحابه بالموعظة مخافة السآمة[1]، يعني: يعظهم يوماً بعد يوم، لا يداوم على الوعظ، إنما يتخوّلهم يوماً بعد يوم أو بعد يومين أو ما شاء الله، لا يداوم على ذٰلك، فيملّل الناس، إنما يتخوّلهم، وفي هٰذا الحديث قال العرباض بن سارية: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فهٰذا رسول الله ﷺ، وهو أعلم الخلق بالله عز وجل وبما يُرضي الله عز وجل، وبما ينقذ الناس من الشر، هو أعلم الخلق ﷺ، وهو يعظ، وليست موعظة يسيرة ولكنها موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، وقد ذكروا أن هٰذا بعد صلاة الفجر، وقالوا: يا رسول الله كأنها موعظة مودّع، فهموا منها أنها وصية من الرسول ﷺ وأن حياته على وشك النهاية، كأنها وصية مودّع.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠)، ومسلم (٢٨٢١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

. . . .

ومن عادة المودّع يعني الذي يريد أن يسافر أو حضره الموت، أن يوصي أولاده أو من حوله ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾ [البقرة: ١٣٣] هذه سنة الأنبياء أنّهم يوصون أممهم وذراريهم.

«قال: أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة».

أوصيكم بتقوى الله، هذه كلمة جامعة لخصال الخير، يدخل فيها فعل الواجبات وترك المحرمات، لأن هٰذا هو الذي يقي من عذاب الله، فأتى بكلمة جامعة، ثم فصّل عليه الصلاة والسلام، «أوصيكم بتقوى الله» ومن تقوى الله السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين لأنه بالسمع والطاعة يحصل لهم اجتماع الكلمة، وقوة الأمة، وتمام الأمر، واندفاع الشرور والفتن، وإقامة الحدود، وإنصاف المظلومين من الظلمة إلى آخر المصالح التي في الولاية، فهٰذا فيه وجوب نصب الوالي ووجوب طاعته ـ بالسمع والطاعة ـ إلا إذا أمر بمعصية فلا يطاع في تلك المعصية، قال ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الله»[1] أما ما عدا المعصية فيطاع فيه، الأعداء الآن يريدون أن يُضعفوا المسلمين، وأن لا تبقى

---

(١) أخرجه أحمد (٣٨٨٩) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

. . . .

لهم ولاية، ولا يبقى سمع ولا طاعة، وإنما يعطون الناس الحرية بما يريدون من الشرور والشهوات وأن ينحل الأمر، فالإسلام لا يصلح إلا بجماعة، والجماعة لا تقوم إلا بالولاية، والولاية لا تقوم إلا بالسمع والطاعة، لا بد من هٰذا، فالأعداء يريدون أن لا يبقى للمسلمين جماعة ولا إمامة حتى يسهل انقيادهم للأعداء.

قال: «والسمع والطاعة وإن تأمّر عليكم عبد» يعني: ولي الأمر يطاع لمنصبه، ولمكانته، ولا ينظر إلى شخصه وهيئته وإنما ينظر إلى منصبه العظيم الذي يتولّاه، لا ينظر إلى أبُّهته وإلى جماله، هٰذا من باب الحث والتأكيد، فليست المسألة مسألة منظر أو أبّهة: المسألة مسألة منصب ومقام. فلا يطاع لأجل رغبته هو أو منفعته هو، وإنما يطاع لمنفعة المسلمين، ومصلحة المسلمين.

«فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً».

هٰذا خبر معناه التحذير، فإن من طالت حياته فسيرى اختلافاً، هٰذا في عصر الصحابة، فكيف بعد تطاول الزمن، فإنه يكثر الاختلاف والفرق والأحزاب، فالواجب عند ذٰلك التمسك بسنة الرسول ﷺ فالعصمة من الاختلاف، والعصمة

. . . .

من الخطر هو التمسك بسنة الرسول ﷺ، ولو كلّفك هٰذا ثمناً باهظاً فاصبر.

والمراد بـ«سنتي»: طريقته ﷺ.

«وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضُّوا عليها بالنواجذ».

والخلفاء الراشدون: هم الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، هؤلاء هم الخلفاء الراشدون، لأن عملهم توطيد لسنة الرسول ﷺ وتثبيت لها.

وقوله: «عضّوا عليها بالنواجذ» هٰذا من شدة الحرص، شبه الواقع في الفتن، كالواقع في اللّجة لا ينجو منها إلاّ بحبل يعتصم به، ويمسك الحبل، فلو أن الحبل انفلت منه غرق، فهو من حرصه على الحبل يعض عليه بأضراسه، لا يكتفي بإمساكه بيديه، بل يعض عليه بأضراسه، هٰذا من شدة الخطر، وشدة الحرص على النجاة.

«وإيّاكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة».

(وإياكم ومحدثات الأمور)، فما خالف سنة الرسول ﷺ وسنة الخلفاء، فإنه من محدثات الأمور، حذّر منه الرسول

. . . .

ﷺ، وإن كان أصحابه يحسّنونه ويقولون: هٰذا طاعة لله وتقرب إليه، فإنه لا ينفع، ولا تتقرب إلى الله إلا بما شرع، أتتقرب إلى الله بشيء لم يشرعه؟ هٰذا بدعة، لا تتقرب إلى الله إلاّ بما شرع، فالعمل له شرطان: الأول: الإخلاص لله، والثاني: العمل بالسنة وتجنب البدع، فإن كان العمل فيه شرك فلا يقبل، وإن كان مبتدعاً لا يقبل أيضاً.

«فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» هٰذا فيه ردٌّ على من يقسمون البدعة إلى بدعة حسنة، وبدعة سيئة، قالوا: إن الرسول ﷺ قال: «من سنّ في الإسلام سنّة حسنة»[١].

نقول: لم يقل ﷺ: من ابتدع في الإسلام بدعة حسنة، حتى تقولوا هناك بدعة حسنة، ومعنى سنّ في الإسلام سنة حسنة، أي: عمل بالسنة عند ترك الناس لها لأن سبب الحديث في الذي بادر بالصدقة فاقتدى به الناس وقدموا صدقاتهم والصدقة سنة وليست بدعة. فيقتدون به إذا عمل بالسنة، وله أجرها وأجر من عمل بها، وهٰذا فيه الدعوة إلى السنة إذا تركها الناس.

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

وعن حُذيفة رضي الله عنه قال: كلُّ عبادة لا يتعبَّدُها أصحابُ محمد ﷺ فلا تعبَّدوها، فإن الأولَ لم يَدَعْ للآخِرِ مقالاً، فاتقوا اللهَ يا معشَرَ القُرَّاء وخذوا طريق من كان قبلكم. رواه أبو داود. [٨١]

---

[٨١] الأصل سنة الرسول ﷺ، ومن هم أعرف الناس بسنة الرسول؟ هم صحابته، هم الذين يبينون سنة الرسول ﷺ، يروونها ويعملون بها، فالأخذ بما يعمل به الصحابة، أخذ بسنة الرسول ﷺ، لأنهم أقرب الناس إلى الرسول ﷺ وهم تلاميذه وتعلّموا منه، وهم يحبون سنته عليه السلام، والله جل وعلا أمر بذلك بقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠] يعني بإتقان، من غير إفراط ولا تفريط ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة: ١٠٠] الصحابة رضي الله عنهم إجماعهم حجة، فإذا عملوا عملاً، فهو من سنة الرسول ﷺ، وأما من جاء بعدهم فإنه يخطئ ويصيب.

«فاتقوا الله يا معشر القراء وخذوا طريق من كان قبلكم».

يا معشر القراء، يريد العلماء، لأنه في ذلك الوقت، القراء هم العلماء، وليس المراد مجرد من يحفظون القرآن

وقال الدارمي[١]: أخبرني الحكمُ بنُ المبارك، أنبأنا عمرو بن يحيى قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: كنَّا نجلس على باب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قبل صلاة الغَداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد فجاءنا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه. فقال: أَخرجَ إليكم أبو عبد الرحمٰن بعدُ؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمٰن، إني رأيت آنفاً في المسجد أمراً أنكرتُه، ولم أرَ ـ والحمد لله ـ إلا خيراً، قال: فما هو؟ فقال: إن عشتَ فستراه. قال: رأيت في

بالتجويد، لا، فالمراد بالقراء في الزمان الأول: العلماء لأنهم ما كانوا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموا معانيهن ويعملوا بهن، لم يكونوا يحفظون فقط، أما القرّاء الذين في آخر الزمان فأولئك ليسوا فقهاء، مجرد قراء يقرؤون القرآن ولكن لا يتفقهونه، ويقرؤون في الأحاديث، ولا يتفقهون فيها أو يفسرونها بفهمهم القاصر أو بأهوائهم الضالة.

---

(١) في «سننه» (٢١٠).

المسجد قوماً حِلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة في كل حلقةٍ رجلٌ، وفي أيديهم حصًى، فيقول: كبِّروا مئة، يكبرون مئة، فيقول: هلِّلوا مئة، فيهللون مئة، فيقول: سبِّحوا مئة، فيسبّحون مئة. قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً، انتظارَ أمرك أو انتظارَ رأيك. قال: أفلا أمرتهم أن يعدّوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء. ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحِلَق، فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمٰن، حصًى نعدّ به التكبير والتهليل والتسبيح. قال: فعدّوا سيئاتكم فأنا ضامنٌ ألا يضيع من حسناتكم شيء، ويحَكم يا أمة محمد، ما أسرع هَلَكَتكُم، هؤلاء صحابة نبيّكم ﷺ متوافرون، وهٰذه ثيابه لم تَبْلَ، وآنيتُه لم تُكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملَّة هي أهدى من ملة محمد! أو مفتتحو باب ضلالة! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمٰن، ما أردنا إلا الخير. قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا «أن

قوماً يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم». وايمُ الله، ما أدري لعلّ أكثرهم منكم، ثم تولّى عنهم. فقال عمرو ابن سَلِمة رضي الله عنه: رأينا عامَّة أولئك الخلق يطاعنونا يوم النَّهروان مع الخوارج. [٨٢]

---

[٨٢] هٰذه قصة عظيمة وعجيبة حصلت من ابن مسعود رضي الله عنه، تدل على فقهه وقوته في الحق.

وهٰذا فيه تقدير السلف لأهل العلم، كانوا يحرصون على أخذ العلم عنهم والمشي معهم ومجالستهم خلافاً للذين يقولون الآن: العلماء متحجّرون، والعلماء نفعيون، والعلماء أصحاب وظائف ويحذرون من العلماء.

قال: «فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد فجاءنا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه».

ابن مسعود كان مفتياً في الكوفة ومعلماً، وأبو موسى كان أميراً على الكوفة، فهما صحابيان جليلان أحدهما كان أميراً، والآخر كان مفتياً ومعلماً.

«فقال: أَخرجَ إليكم أبو عبد الرحمٰن بعدُ؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمٰن إني رأيت آنفاً في المسجد أمراً

. . . .

أنكرته، ولم أرَ ـ والحمد لله ـ إلا خيراً، قال: فما هو؟ فقال: إن عشتَ فستراه. قال: رأيت في المسجد قوماً حِلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة في كل حلقةٍ رجل، وفي أيديهم حصًى، فيقول: كبِّروا مئة، فيكبرون مئة، فيقول: هلِّلوا مئة، فيهللون مئة، فيقول: سبّحوا مئة، فيسبّحون مئة. قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً، انتظارَ أمرك أو انتظارَ رأيك».

أصل التسبيح والتهليل والتكبير مشروع، لكن جعله على هٰذه الصفة، يتحلقون حلقاً، ومعهم رجل، ومعهم حصى، يقول لهم: كبروا مئة، فيكبرون، ويعدّدون مئة بالحصى، ثم يقول: هلّلوا مئة، فيهللون بالحصى إلى آخره، هٰذه الصورة فيها بدعة، أما التسبيح والتهليل والتكبير فهٰذا مشروع، أما الصورة فهي بدعة ما أمر بها رسول الله ﷺ ولا فعلها، وهٰذه تؤول إلى شر كما يأتي في آخر القصة.

«قال: أفلا أمرتهم أن يعدّوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء».

يقول: عليك أن تعد سيئاتك، وتتوب منها، أما الحسنات فاعملها ولا تعدها، تقول: أنا سبّحت مئة وألفاً أو عشرين ألفاً، وما أشبه ذٰلك، هٰذا من الرياء، وهٰذا بدعة.

. . . .

«ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحِلَق، فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمٰن، حصًى نعدّ به التكبير والتهليل والتسبيح. قال: فعدّوا سيئاتكم فأنا ضامن ألا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هَلَكَتكُم، هؤلاء صحابة نبيّكم ﷺ متوافرون، وهٰذه ثيابه لم تَبْلَ، وآنيتُه لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد! أو مفتتحو باب ضلالة! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمٰن، ما أردنا إلا الخير».

فمجرد النية وإرادة الخير لا تسوغ البدعة، فالبدعة بدعة وهي شر وإن كانت نية صاحبها حسنة، وقصده حسناً.

قال: «وكم من مريد الخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوماً يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم».

أتى بحديث الخوارج الذين يغلون في الدين، ويعملون من غير دليل وفقه، وإنما يقرؤون القرآن من غير فهمٍ له، ويجتهدون من عند أنفسهم وبآرائهم من غير أن يتفقهوا في دين الله، هٰذه طريقة الخوارج، فتوقع رضي الله عنه أنّهم سيكونون من الخوارج، لأن البدعة تجر إلى الشرّ، وأما السنة فتجر إلى الخير.

والله المستعان وعليه التكلان، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. [٨٣]

«وايم الله ما أدري لعلّ أكثرهم منكم، ثم تولّى عنهم. فقال عمرو بن سَلِمة رضي الله عنه: رأينا عامّة أولئك الخلق يطاعِنونا يوم النهروان مع الخوارج».

كما توقع ابن مسعود رضي الله عنه رآهم مع الخوارج، يقتلون المسلمين في النهروان، والنهروان موقعة جرت بين عليّ رضي الله عنه والخوارج، فنصر الله أمير المؤمنين عليهم وقتل منهم مقتلة عظيمة، وكانت وقعة النهروان في العراق، فهؤلاء الذين أخذوا هٰذه البدعة، جرّتهم إلى الخوارج وصاروا معهم، وقتلوا معهم ـ والعياذ بالله ـ فهٰذا فيه التحذير من البدع، وأنها تجر إلى شر، ولو كانت نية أصحابها حسنة، أو مقاصدهم طيبة، لأنه ليس المدار على النية والقصد، وإنما المدار على الدليل من كتاب الله، أو من سنة الرسول ﷺ، فالدين كامل ولله الحمد ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] فما لم يأمر به الرسول ﷺ، ولم يفعله ولم يقر أحداً عليه، فإنه ليس من الدين، وإنما هو من البدع.

[٨٣] ختم ـ رحمه الله ـ الكتاب بهٰذا الدعاء والله المستعان وعليه التكلان، وصلى الله عليه على نبينا محمد.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة